

أثر التشيع في الأدب العربي

بقلم
محمد سيد كيروني

الطبعة الثانية
١٩٩٥ - ١٩٩٦

دار العرب
للبيستاف

٢٨ شارع الفجالة - ١١٢٧١ - القاهرة

ت: ٥٩١٥٣١٥ - ٩٠٨٠٢٥

فاكس: ٧٧١١٤٠ - ٢٠٢

المصادر

— الملل والنحل	— الشهرستاني .
الفرق بين الفرق	— عبد القادر البغدادي
الإمامة والسياسة	— ابن قتيبة
الأغاني	— الأصبهاني
أعيان الشيعة	— الحسيني العاملي
الفتوحات المكية	— ابن عري
يتيمة الدهر	— الثعالبي
المنهج الحنف	— أحد رجال الطرق الصوفية
معجم الأدباء	— ياقوت
نهج البلاغة	— شرح ابن أبي الحديد
نهج البلاغة	— شرح محمد عده
نهج البلاغة	— شرح رزاق حبيب الله
تاريخ الأمم والملوك	— الطبري
الأمالي	— الشريف المرتضى
الأمالي	— أبو علي القالي
العقد الفريد	— ابن عبد ربه
السيرة	— ابن هشام
مناقب آل أبي طالب	— السروي المازندراني

— الكميت	الهاشميات
— محمد بن سلام الجحى	طبقات الشعراء
— ابن خلكان	وفيات الأعيان
— محمد بن شاكر	وفات الوفيات
— الجاحظ	البيان والتبيين
— ابن رشيق	العمدة
— ابن النديم	الفهرست
— ابن حزم	الملل والنحل
— الصولى	الأوراق
	ديوان كثير
	ديوان ابن الرومى
	ديوان الشريف الرضى
	ديوان مهيار الديلبى
	ديوان ابن هانىء الأندلسى

مقدمة الطبعة الثانية

هذه هي الطبعة الثانية لكتاب « أثر التشيع في الأدب العربي » ،
والتشيع مذهبٌ سياسىٌ ودينىٌ فى نفس الوقت ، لأنه يتناول أصلاً
من أصول الحكم ، ويسجل الخلافات الدينية بين الأحزاب فى ذلك
الوقت . وما زالت هذه الخلافات موضع مناقشات ومساجلات بين
هذه الأطراف . ولا يخفى أن الذى أضعف المسلمين فى الماضى
والحاضر هو كثرة المنازعات الداخلية بينهم . ومن الخير لهم أن
يتجاهلوا خلافات الماضى ، فالماضى لا يعود . وقد تطورت الدنيا
وتغيرت . فخير لهم أن يعودوا إلى طبيعة الدين الإسلامى السمحة .
فالمسلم أخو المسلم والدين الإسلامى ينهى عن التفرق ويدعو إلى
الوحدة والتضامن . وهذا يجعل المسلمين إخوة لا فرق بين هذا وذاك
إلا بالتقوى .

والله يغفر لمن يشاء ويرحم الجميع من الناطقين بالشهادتين : -
شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .
وكتاب أثر التشيع يدعو إلى المحبة والوفاء بين الناس أجمعين .
وقد استفاد خصوم العرب من التفرق والتنازع بين أبناء الدين
الواحد ، وهذا ما نهى عنه الإسلام .
﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ والإخوة يجب أن يتصافحوا وتصفو
القلوب بينهم ، ويعملوا على خير المجتمع .
والله الموفق .

محمد سيد كيلانى

القاهرة فى ١٢ أكتوبر ١٩٩٤

مقدمة

الطبعة الأولى

هذا بحث فيما أحدثه التشيع من أثر في الأدب العربي ، بدأته منذ قيام علي بن أبي طالب بحركته ، وانقسام المسلمين إلى حزبين كبيرين : حزب يتشيع لعل ، وحزب يقف وراء معاوية ، ثم حزب ثالث لا يرضى عن هؤلاء ولا عن أولئك ، وهو حزب الخوارج .

وقد رتبته على أربعة أبواب ، وخصصت أول فصل من الباب الأول للكلام على الخلافة : وأتيت في الفصل الثاني ببذرة عن أشهر فرق الشيعة العلوية ومعتقداتها ، ليسهل بذلك على القارئ فهم ما جاء في الشعر الشيعي من مذاهب وآراء ، كالقول بالرجعة وعصمة الأئمة والمهدي المنتظر وغير ذلك من العقائد التي أوردها شعراء تلك الطائفة في كثير من شعرهم .

وكان العلويون والأمويون والخوارج يتراشقون بالكلام ، كما كانوا يتطاحنون بالسيوف والسهام ، فأخذ الخطباء والشعراء والكتاب يدافع كل منهم عن الحزب الذي ينتمي إليه ، ويذود عنه ، ويرد على مطاعن أعدائه ويحرض على الكفاح والجهاد . فترى في الفصل الأول من الباب الثاني أثر التشيع واضحاً إلى أبعد حد في دولة النثر : في الخطابة ، والرسائل ، والحديث ، والقصص ، وانتحال القول . وفي الفصل الثاني من هذا الباب تكلمت على أشهر خطباء الشيعة مع دراسة تحليلية لكتاب نهج البلاغة .

وتناولت في الفصل الأول من الباب الثالث الكلام على مظاهر
انتحال الشعر عند الشيعة . وخصصت الفصل الثاني للحديث عن
أغراض الشعر عند هؤلاء القوم . فمن مدح لآل البيت بدأ ساذجاً
بسيطاً لا أثر للتكلف فيه ، ثم أخذ يتدرج في الغلو شيئاً فشيئاً حتى
جاء ابن هاني الأندلسي فظهر في شعره نوع من المديح لالعهد للمسلمين به
من قبل . إلى رثاء حار منبعث من أعماق القلوب . فقد حدث أن قتل
على ثم قتل ابنه الحسين من بعده على صورة مؤلمة . ثم تتبع الأمويون
والعباسيون من بعدهم العلويين ، فنكسوا بهم أشنع تنكيل ، ومثلوا بهم
أفظع تمثيل ، فحرك ذلك عواطف كثير من الشعراء ، فأنشؤا قصائد
قوية فيها لوعة وأسى ، وحزن عميق وألم شديد ، إلى غير ذلك من
الأغراض التي تناولها شعراء الشيعة وهي مفصلة كما تراها في موضعها
من هذا الكتاب .

وأنتيت في الباب الرابع بتراجم مختصرة لعشرة من شعراء الشيعة ،
بدأتهم بالكميت ، وختمتهم بابن هاني الأندلسي ، وبهذا ينتهي الكتاب .

محمد منير كيموني

القاهرة في أول مايو سنة ١٩٤٧

الباب الأول

الفصل الأول

مشكلة الخلافة

(١) القدماء والتاريخ

اعتاد بعض قدامى المؤرخين أن يسلكوا في كتابة تاريخ الصحابة مسلكا عجيبا ، فتراهم يطمسون بعض الحقائق طمسا غريبا ، ويضللون الناس تضليلا كبيرا ياغراقهم في المدح والثناء على هؤلاء الرجال بحق وبغير حق حتى يتوهم القراء أن الصحابة أشخاص مقدسون لا يجوز عليهم الخطأ ؛ يفعلون ذلك ظانين أن كتابتهم التي يكتبونها على هذا النحو تقرهم من الله زلفى ، وتضمن لهم الجنة ... ولا ريب في أنهم مخطئون ، ولا عجب أن كانت كتابتهم خلوا من الروح العلى الصحيح ، لا فائدة منها ولا خير فيها ، تقرأها فتشعر بأنك تطالع قطعة من المديح ، لا أكثر ولا أقل ؛ فتمحيص الحقائق التاريخية ، وتحليل أعمال الأشخاص ، ووضع الأمور في نصابها ، والنظر إلى الموضوع في نزاهة وإخلاص ، وتحرى الصدق والتجرد من الأهواء ، وتحكيم العقول بدلا من الميل مع العواطف ، كل هذا من الأمور التي لم يعرف القدماء إليها سبيلا ، اللهم إلا المعتزلة الذين كانوا مطبوعين على الجرأة والصراحة .

وفي هذه الأيام نجد كثيرين يسلكون مسلك القدماء فيما يكتبون :
يرددون ما خطته أقلام أسلافهم من غير بحث ولا تحقيق . وإن أنت
حاولت أن تتبع طريق العلماء الباحثين ، وتحكم عقلك فيما لم يعتادوا تحكيم
عقولهم فيه ، رموك بالكفر ، واتهموك بالإلحاد ، وانهاكوا عليك بالشتائم
والسباب ...

وسواء رضى هؤلاء أو غضبوا ، فإنى أؤثر أن أنهج نهج العلماء
المحققين الذين يضعون الحقيقة فوق كل اعتبار .

(٢) لمن الخلافة ؟

ما كاد النبي يلفظ النفس الأخير حتى تحركت أطماع^(١) بعض
الصحابة في منصب الخلافة ، وأظهر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء ،
وتكشفت النفوس عما كانت تنطوى عليه من أمور كانت مستورة مدة
حياة النبي ، وظهرت بعد ساعات قليلة من وفاته .

لقد اجتمع الأنصار عقب وفاة الرسول إلى سيدهم سعد بن عباد
في سقيفة بني ساعدة وبايعوه خليفة . وما كاد أبو بكر وعمر وأبو عبيدة
يسمعون بهذا النبأ حتى أسرعوا إلى مكان اجتماعهم ، ودار بينهم وبين
الأنصار جدال شديد ونقاش عنيف ؛ فالأنصار يقولون إنهم نصروا
النبي وآووه ، وساعدوه وآزروه ، وكافحوا من أجله ومن أجل الدين
كفاحاً شديداً ، وعلى ذلك يجب أن يظفروا بهذا المنصب جزاء وفاقاً لهم

(١) ذكر ابن قتية أن أبا بكر قال : والله إنى لشديد الوجع ، ولما ألقى منكم يا معشر
المهاجرين أسد على من وجعى . إنى وليت أمركم ولست خيركم فى نفسى ، فكلكم ورم الله
إرادة أن يكون هذا الأمر له وذلك لما رأيتم الدنيا قد أقبلت .

على ما بذلوا من جهود . ووقف أبوبكر وعمر يردان على الانتصار للحجة
بالحجة ويدفعان البرهان بالبرهان ، ويدودان عن حق المهاجرين في
الخلافة ؛ فالمهاجرون وهم الذين احتملوا الاضطهاد والعذاب ، وصبروا
وصابروا وضحوا بأنفسهم وأرواحهم في سبيل الدين ؛ وهم يفضلون
الأنصار — كما يزعم أبوبكر — بأسبقيتهم إلى دخول الإسلام .

قال الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . فقال عمر : هيات ^(١) لا يجمع
سيفان في غمد واحد : والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم
ولكن العرب لا ينبغي أن تولى هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم ،
وأولى الأمر منهم ، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة ،
والسلطان المبين . من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه
وعشيرته إلا مدل بباطل ، أو متجائف لإثم أو متورط في هلكة .

فأنت ترى أن عمر في كلامه هذا كان أول من أحيا العصبية الجاهلية
في نفوس المسلمين . وترى كذلك أن عمر خول نفسه الحق في الكلام عن
العرب بأجمعهم حين يخاطب الأنصار بقوله : « والله لا ترضى العرب أن
تؤمركم ونبيها من غيركم » ، وأمر ثالث تلحظه في كلام عمر وهو أنه جعل
النبي ملكا له سلطان وله ميراث ، وجعل لأبي بكر الحق في حيازة هذا
السلطان ، وفي الاستيلاء على هذا الميراث .

ولما كان الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج ، وكان بين هاتين
القبيلتين عداوة شديدة ، وحروب طاحنة في العصر الجاهلي ، خشيت
إحداهما بأس الأخرى إذا خلص لها الأمر ؛ وعلى هذا وافقت

الأوس على مبايعة أبي بكر وتبعتها الخزرج ، عدا سيدها سعد بن عبادة
الذى أهان أبا بكر إهانة شديدة ، بل أهان المهاجرين جميعا . وأبى أن
يبايع أبا بكر واعتزل المسلمين ، ورحل إلى الشام في أيام عمر ومات هناك .
وبعد أن تمت البيعة لأبي بكر من الأنصار دخل المسجد فرأى قوما
آخرين لا تقل أطاعهم عن أطاع الأنصار . رأى بنى أمية مجتمعين حول
عثمان ، وبنى زهرة مع عبد الرحمن بن عوف ، وبنى هاشم مع علي بن أبي طالب ،
فقال عمر وقد عرف كل ما يحول بخاطر كل منهم : مالكم مجتمعين حلقاً
شتى ، قوموا فبايعوا أبا بكر ، فقد بايعته وبايعه الأنصار . فقام عثمان
ومن معه فبايعوه ، وقام عبد الرحمن بن عوف ومن معه فبايعوه أيضا .

وأما علي والعباس ومن معهما من بنى هاشم فانصرفوا إلى بيوتهم
ومعهم الزبير بن العوام ، فذهب إليهم عمر في عصابة ، فقال انطلقوا فبايعوا
أبا بكر فأبوا ، وخرج الزبير بن العوام بالسيف فقال عمر : عليكم الرجل
فخذوه ، فوثب عليه واحد من العصابة فأخذ السيف من يده وضرب به
الجدار ، وأخذوه وانطلقوا به ، وأرغموه على المبايعة . وذهب بنو هاشم
فبايعوا وأخذوا عليا ليبايع فقال : « أنا أحق » بهذا الأمر منكم ، لا أبايعكم
وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار ، واحتججتم عليهم
بالقراية من النبي صلى الله عليه وسلم ، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً ،
ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم
المقادة ، وسلوكم الإمارة ؟ فأننا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على

الأنصار، فنحن أولى برسول الله حيا وميتا . فأنصفونا إن كنتم تؤمنون ،
ولا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون . فقال عمر : لست متروكا حتى تبائع .
فقال له علي : احلب حلبا لك شطره ، وشد له اليوم يردده عليك غدا ،
عني بذلك ساعده اليوم في الحصول على الخلافة ليوليك بعده على المسلمين .
ثم قال : والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه . فقال أبو بكر : إن
لم تبائع فلا أكرهك . وتكلم أبو غبيدة بن الجراح ونصح عليا بالمبايعة ،
ولكن عليا قال : الله الله يا معشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمد في
العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقور بيوتكم . ثم ما كان منه
إلا أن حمل زوجته فاطمة على دابة وأخذ يطوف بها في مجالس
الأنصار تسألهم النصر فكانوا يقولون لها : يا بنت رسول الله قد مضت
بيعتنا لهذا الرجل .

فما تقدم ترى أن عمر سلك طريقا غير رشيد ، فاحتج على الأنصار
بأنهم أسبق الناس إلى الإسلام مع أنه ليست هناك أدنى علاقة بين أسبقية
المرء إلى الإسلام وبين صلاحيته للحكم . ثم إنه احتج عليهم بقرابة
المهاجرين للرسول . ومع ذلك فقد كان واجب العدل يقضى بأن تكون
الخلافة لعلي بن أبي طالب ما دامت القرابة اتخذت سنداً لحيازة ميراث
الرسول . لقد كان العباس أقرب الناس إلى النبي وكان أحق الناس
بالخلافة ، ولكنه تنازل بحقه هذا لعلي . فمن هنا صار لعلي الحق وحده
في هذا المنصب . ثم إن عمر هدد بني هاشم فذهب إليهم في عصابة ، وحمل
الزبير وأرغمه على البيعة كما تقدم ، وكاد يقتل عليا .
أما علي فإنه رفض مبايعة أبي بكر مع أنه رأى الأمة كلها قد بايعت ،

فكان واجبا عليه أن ينكر ذاته ، ويسمو بمصلحة الإسلام والمسلمين فوق الاعتبار الشخصية . ثم كان يجب عليه أن يسلم بالأمر الواقع ويذعن لما أذعن له غيره من المسلمين .

وبما يؤخذ عليه أيضاً أنه حاول أن يثير نيران الحرب بين المسلمين ، فذهب إلى الأنصار حاملا زوجته على دابة كما أسلفنا سائلا إياهم النصر . ترى ، ماذا كانت حالة الإسلام والمسلمين لو استجاب الأنصار لدعوة علي وقاموا معه في وجه أبي بكر ؟

(٣) الشيخان

والظاهر أن أبا بكر وعمر قد وضعوا هذه الخطة وفكروا فيها قبل وفاة الرسول . ثم نفذوها فيما بعد بدقة وإحكام فكتب لها النجاح والتوفيق . وليس مما يعقل أن يكون قول أبي بكر « نحن الأمراء وأنتم الوزراء الخ ، وليد الساعة . وأنا أرى أن القوم فكروا في هذا الأمر والرسول لا يزال على قيد الحياة . وربما كان تفكيرهم فيه بعيد غزوة أحد التي تعرض النبي فيها للموت . »^(١) والشيعنة تزعم أن النبي عهد إلى علي بالأمر من بعده . وهذا زعم باطل لأن عليا لم يستشهد به على صحة دعواه وسواء أكان الشيخان أبو بكر وعمر وصلا إلى منصب الخلافة بحق أو بغير حق ، فإنهما من غير شك قد خدما الإسلام خدمة لا تقدر ، بقي أثرها إلى اليوم ، وسيبقى إلى ما شاء الله . فلا بى بكر الفضل في تثبيت أقدام الدين في شبه الجزيرة بقضائه على المرتدين ومدعى النبوة .

(١) ذكر ابن قتيبة وغيره من المؤرخين أن العباس لقي علياً فقال له « إن السى يقبض فاسأله إن كان الأمر لنا بينه وإن كان لغيرنا أوصى بتأخيرنا » ولكن عليا لم يسأل النبي عن ذلك .

وما كاد ينتهى من ذلك حتى وجه العرب نحو الغزو والفتح ، فترتب على ذلك أن خرج المسلمون مجاهدين فى سبيل الله ففتحوا فارس والشام . ثم مات أبو بكر : واعترافاً منه بفضل عمر عليه فى الوصول إلى مقعد الحكم عهد إليه بالخلافة من بعده . والظاهر أن أبا بكر كان قد وعد عمر بهذا فبر بوعده . وفى أيام عمر تم فتح الشام والاستيلاء على مصر وغنم المسلمون غنائم جمّة . ولعل من الصواب أن نقول إن عمر كاد يقف بالفتوح عند فارس وبلاد الشام . لقد تردد كثيراً فى فتح مصر . وأخيراً بعد إلحاح شديد من عمرو بن العاص وافق على إرسال جيش صغير واشترط على عمرو أنه سيرسل إليه خطاباً إن وصله وهو خارج الحدود رجع ، وإن وصله وهو داخل الحدود تقدم وطلب العون . ولما كان ابن العاص مخلصاً فى الجهاد فى سبيل الله فقد أخفى رسالة عمر التى وصلته وهو خارج حدود مصر ، ولم يفتحها إلا بعد أن أوغل فى الديار المصرية . ثم إن عمر فعل فعلة سياسية جريئة وهى عزله خالد بن الوليد من قيادة الجيوش العربية فى الشام فى أثناء اشتداد المعركة بين المسلمين والروم . لقد كان هذا العمل جديراً بأن يقضى على وحدة المسلمين ويؤدى إلى انهزامهم الشنيع أمام الأعداء . ولكن خالد بن الوليد أثبت أنه رجل كبير العقل والنفس ، فوضع مصلحة الإسلام فوق كل اعتبار ، وأخفى نبأ عزله حتى إذا ما تم النصر للمسلمين سلم القيادة إلى أبى عبيدة بن الجراح وقبل أن يعمل تحت إمرته .

ومع كل ما قدمنا فإن هذين الشيخين لا يستحقان تلك المطاعن الكثيرة التى كالحا لها شعراء الشيعة بغير حساب . لقد كانت أيام حكمهما

من أسعد الأيام التي مرت على المسلمين وكان عصرهما من خير عصور الإسلام . فإذا ما ذكرنا اسميهما وجب علينا ان ننحنى إجلالا واحتراما لهما ، فإنهما جديران بكل تقدير . ولكن شعراء الشيعة لم ينظروا إلى المصلحة العامة ، بل نظروا إلى المصلحة الخاصة ، مصلحة على ، فملثوا أشعارهم بالشتائم والسباب ، وألصقوا بهما كثيراً من المثالب والنقائص بل رموهما بالكفر والخروج على الدين . من أمثلة ذلك ما روى أن المهدي جلس يوماً لتوزيع الإعطية على من يستحقها من المسلمين ، وكان في المجلس نفر من آل الخطاب ينتظرون نصيبهم من العطاء ، وبينما القوم جلوس إذ دخل الخادم على المهدي يحمل إليه رسالة فلما فتحها وجد بداخلها قصيدة بعث بها إليه السيد الحميري جاء فيها :

قُلْ لَابْنَ عَبَّاسٍ سَمِيَّ مُحَمَّدٍ	لَا تُعْطَيْنَ بَنِي عَدِيٍّ دَرَهْمًا
أَحْرَمَ بَنِي تَيْمٍ بِنِ مُرَّةٍ لِنَهْمٍ	شَرُّ الْبَرِيَّةِ أَوَّلًا وَمُقَدَّمًا
مَنْعُوا تُرَاثَ مُحَمَّدٍ أَعْمَامَهُ	وَابْنَيْهِ وَابْنَتَهُ عَدِيلَةَ مَرِيَمًا
وَتَأْمُرُوا مَنْ غَيْرُ أَنْ يُسْتَخْلَفُوا	وَكَفَى بِمَا فَعَلُوا هَذَا لِكَمَا تُنَمَّا
لَمْ يَشْكُرُوا لِمُحَمَّدٍ إِنْعَامَهُ	أَفَيَشْكُرُونَ لْغَيْرِهِ أَنْ أَنْعَمًا
وَاللَّهُ مَنْ عَلَيْهِمْ بِمُحَمَّدٍ	وَهَدَاهُمْ وَكَسَا الْجُنُوبَ وَأَطْعَمًا
ثُمَّ انْبَرَوْا لِوَعْيِهِ وَوَلَّيْهِ	بِالْمُنْكَرَاتِ فِجْرَعُوهُ الْعَلَقَمًا

قال صاحب الأغاني : وهي ^(١) قصيدة طويلة حذف باقيا لقبح

بما فيه فلما قرأها المهدي أمر بقطع الغطاء ، فقطعه وانصرف الناس
ودخل السيد إليه ، فلما رآه ضحك وقال « قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل ^(١)
ولم نعطيهم شيئاً » .

(٤) عثمان

كان من سوء حظ المسلمين أن انتخب عثمان بن عفان خليفة ، فلم
يكن له من الصفات ما يجعله أهلاً لهذا المنصب الخطير . حقا ! لقد جاهد
عثمان في سبيل الله جهادا مشكورا وضحى بكثير من أمواله لإعلاء كلمة
الدين ، ولكنه لم يكن صالحا للحكم . لقد سلم زمام المسلمين إلى قومه
الأمويين الذين حاربوا الإسلام بكل ما استطاعوا من حول وطول ،
واضطهدوا النبي وآذوه هو وأصحابه ولم يدخلوا في الإسلام إلا مرغمين .
أجل ! لقد أعطاهم عثمان ^(٢) مقاليد الأمور وتركهم على هواهم فتصرفوا
في أموال المسلمين كيف شاءوا دون رقيب أو حسيب ، ونهبوا ما استطاعوا
لا ضمير يؤنبهم ولا دين يردعهم ولا رئيس يؤاخذهم .

ثم إن عثمان عين على الأقاليم ولادة عرفوا بسوء السيرة واشتهروا
بالفسق والفجور . ومن هؤلاء الحكماء الوليد بن عقبة الذي بعثه عثمان
حاكما على العراق . لقد شرب وأفرط في الشراب ، ثم ذهب إلى المسجد
لأداء صلاة الصبح فصلى بالناس أربع ركعات ثم التفت إليهم وقال :

أزيدكم ؟ وتقياً في المحراب ، وقرأ في الصلاة وهو رافع صوته :

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

(١) هو السيد الحيري . (٢) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ٥٤

فقدم رجل المدينة وأخبر عثمان بما حصل من الوليد فما كان من
عثمان إلا أن ضرب الرجل ، فقال الناس : عطلت الحدود وضربت الشهود .

قال صاحب الأغاني ^(١) : خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان
في أمر الوليد فقال : أكلنا غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل !
لئن أصبحت لكم لأنكن بكم . فاستجاروا بعائشة ، وأصبح عثمان فسمع
من حجرتها صوتا وكلاما فيه بعض الغلظة ، فقال : أما يجد مراق أهل
العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة ؟ فسمعت عائشة فرفعت نعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : تركت سنة صاحب هذه النعل
فتسامع الناس فجاءوا حتى ملئوا المسجد ، فمن قائل : أحسنت ، ومن قائل :
مال للنساء ولهذا ، حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال ، ودخل رهط من أصحاب
رسول الله (ص) فقالوا له : اتق الله واعزل أخاك ^(٢) عنهم فعزله .

فيلاحظ القارىء بما تقدم أمورا منها أن عثمان بن عفان اعتبر وقد
العراق فساقا ومراقا ، ثم إنه جعل بيت رسول الله أو بيت عائشة
أم المؤمنين ملجأ لهؤلاء الفساق والمراق . فهذا البيت في نظر عثمان
مكان للهروق والخروج !! والأمر الثالث الذي يلاحظه القارىء أن
عائشة صرحت بأن عثمان ترك سنة رسول الله فتكاثر الناس وتحاصبوا
وتضاربوا بالنعال . فكان عثمان بتركه سنة رسول الله مستحقا للعزل .
ولما طلب المسلمون منه ذلك وألحوا عليه مرارا رفض وأبى وأمعن

(١) الأغاني جزء ٥ ص ١٣٠ طبع دار الكتب .

(٢) كان الوليد بن عقبة أخا عثمان من الرضاع .

في الرفض والإباء ، فلم يجد القوم بدا من قتله . قتل عثمان لما قدمنا من أسباب ، ولأسباب أخرى لا يتسع المجال لشرحها .

(٥) علي .

بعد مقتل عثمان انقسم المسلمون إلى ثلاثة أحزاب ، هي :
عثمانيون وهم الذين طالبوا بدم عثمان وكانوا فرقتين : الفرقة الأولى ،
بزعامة معاوية ، والثانية بزعامة طلحة والزبير .
أما الحزب الثاني فهم العلويون أنصار علي بن أبي طالب .
وبعد قليل ظهر حزب ثالث وهو حزب الخوارج .
ثم أخذت هذه الأحزاب ينقسم بعضها على بعض حتى أربى عدد
فرقها على السبعين ، وإنك لتجد ذلك واضحاً جلياً في كتاب الملل
والنحل للشهرستاني .

(٦) خطر الموقف

اجتمع فريق من المسلمين وبايعوا علياً . وكان أول من بايعه الأشر
النخعي أحد قواد جيشه . ولكن علياً وجد أن عدداً كبيراً ممن يعتد
برأيهم من الصحابة غير راضين عنه . فدعا طلحة والزبير لمبايعته فتلكاً
طلحة فهده الأشر النخعي بالقتل فأذعن وبايع . وجيء بسعد بن
أبي وقاص وعبد الله بن عمر لبايعا فامتنعا . وتخلف عن البيعة من
الأنصار كثيرون منهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة ابن
مخلد ، وأبو سعيد الخدري ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد

ابن ثابت ، ورافع بن خديج ، وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عمرة . وكان هؤلاء يميلون إلى عثمان لما كان يسبغه عليهم من أموال .
ثم إن عائشة زوج النبي انضمت إلى جانب أعداء علي ، وأخذت تحرض الناس عليه ، وتشجعهم على محاربته .

وجد علي نفسه أمام أعداء أقوياء من الشرق ومن الغرب ، فقد خرج طلحة والزبير إلى العراق ، وكان معهما جيش كبير وخرجت معهما عائشة أم المؤمنين . وهنا يلاحظ القارئ موقفين متناقضين لعائشة ، الموقف الأول كان ضد عثمان الذي ترك سنة رسول الله كما تقدم آنفا .

والموقف الثاني خروجها مع طلحة والزبير إلى العراق ، وانضمامها إلى صفوف الذين يطالبون بدم عثمان ١١

لاشك في أن عائشة أصابت في موقفها الأول ، ولكنها في رأي أخطأت خطأ عظيماً في الثاني ، فبما كان لنساء النبي أن يخرجن من بيوتهن على هذه الصورة . ترى ما الذي دفعها إلى الذهاب إلى العراق مع طلحة والزبير ؟؟ وما الذي حملها على تحريض الناس على محاربة ابن عم الرسول ؟ أصبح أنها كانت تريد الثأر لعثمان ؟

استطاع علي أن يوقع بطلحة والزبير هزيمة شليعة في وقعة الجمل التي قتل فيها طلحة والزبير ، وخسر فيها الفريقان خسارة كبيرة . ثم عامل علي عائشة معاملة حسنة وردها إلى المدينة معززة مكرمة .

ثم فرغ بعد ذلك لمعاوية ، وتقابلت جيوشهما في صيفين . وهناك دارت رحى الحرب بين الفريقين واستمرت أكثر من ثلاثة أشهر خسر فيها الفريقان خسارة فادحة . ولما رأى معاوية أن الهزيمة توشك أن تلحق به ، استشار عمرو بن العاص في الموقف فأشار عليه برفع المصاحف على أسنة الحراب ، وطلب تحكيم كتاب الله . فحاول على أن يحمل جنده على مواصلة القتال حتى النهاية ، ولكنهم رفضوا فاضطر إلى قبول التحكيم . ولما انتهى أمر الحكمين بتثبيت معاوية وخلع على ، أراد على معاودة القتال ، ولكن فريقا من أتباعه رأوا أنه كفر بقبول التحكيم وطلبوا منه أن يعترف بذلك ويتوب ولكنه رفض طلبهم ، فخرجوا عليه وسموا بالخوارج . وقد قاتلهم وشتت شملهم في وقعة النهروان . ثم رجع من حرب الخوارج وأخذ يبحث أنصاره على النهوض معه لقتال معاوية ، ولكنهم كانوا يعتذرون بمختلف المعاذير ليبرروا عدم قدرتهم على القيام معه . وبقي يخطب فيهم على غير جدوى حتى قتل .

لقد أخفق على إخفاقا مبينا لأنه كان في العراق حيث القبائل البدوية التي لا تعرف الطاعة ولا النظام بخلاف معاوية الذي كان بالشام يسيطر على جنود يدينون له بالطاعة والولاء .

ثم إن عليا كانت تنقصه صفات لا بد من توافرها في كل سياسي ناجح من مكر ودهاء وخداع وشراء الأنصار بالمنح والصلوات إلى غير ذلك مما لم يتوافر فيه

ولم يكن حظ ابنه الحسن بأفضل من حظ أبيه ، فقد مات مسموماً ،
وحدث أن عهد معاوية بالخلافة من بعده لابنه يزيد ، فغضب كثير من
المسلمين وثاروا عليه . وخرج الحسين إلى العراق فقابلته جيوش يزيد
عند كربلاء ولم يخفَّ أهل العراق لنجدته ، فحصر هو وأصحابه ثم هجم
عليهم أعداؤهم فاستشهدوا جميعاً ولم ينج إلا طفل صغير هو علي بن
الحسين الملقب زين العابدين والنساء اللاتي كن مع الحسين .

(٧) خاتمة

هذا البحث الذي سقناه عن الخلافة لابد لنا منه . فالتشيع مذهب
سياسي يقوم على أركان أهمها منصب الخلافة ولمن يكون .
ولقد رأينا أن القوم بشر مثلنا ، لهم حسنات ولهم سيئات . وقد كان
يخطئ بعضهم بعضاً ويسب بعضهم بعضاً . وإذا كان التعرض لهؤلاء
الناس بالنقد كفراً فما الحكم على عائشة وقد قالت : « اقتلوا نعتلاً »^(١) لعن
الله نعتلاً ، وخرجت إلى العراق وخطبت كثيراً وحرضت الناس على
قتل علي وأبنائه ، وسأقت إليهم الشتائم والسباب ؟ وما الحكم على علي
وقد رأينا موقفه من أبي بكر وعمر ؟

الظاهر أن النقد للصحابة كفر إذا كان ذلك منا ، أما إذا تعرض
بعض الصحابة لبعض كما مر بنا بالسب واللعن فهذا ليس بكفر . ذلك
رأى كثيرين . أما أنا فلا أذهب إلى ما يذهبون ولا أرى ما يرون .

لقد تنازع القوم على منصب الخلافة تنازعا قل أن تجد له مثيلا في الأمم الأخرى ، وارتكبوا في سبيل ذلك ما تتعفف نحن عن ارتكابه الآن . فترتب على ذلك أن أزهقت أرواح ودمرت مدن ، وهدمت قرى وأحرقت دور ، وترملت نساء ، وتيتمت أطفال ، وهلك من المسلمين خلق كثير . ومع ذلك نجد الكتاب والمؤرخين إذا تناولوا هذا العصر أسبغوا على هؤلاء القوم ثوبا من الإجلال والتقديس وجمعوا حول سيرهم الكثير من الأساطير والخرافات ، ووضعوا لهم المناقب واختلقوا الأحاديث ، حتى إن الناس لم يجرؤوا على تناول الأحداث الجسام التي وقعت في هذا العصر بروح النقد النزيه والتمحيص العلمي ، وذلك لما أصابهم من الخوف والوجل إذا هم تعرضوا لأمثال هؤلاء الرجال . فقد رسخ في الأذهان أن التعرض لهم كفر صريح ، وخروج على الدين الحنيف .

الفصل الثاني

فرق الشيعة

اختلف الشيعة فيما بينهم بعد وفاة علي بن أبي طالب . وكان أساس اختلافهم تعيين الأئمة . فمنهم من قال إن علياً نص على إمامة ابنه محمد بن الحنفية ، وهؤلاء هم الكيسانية . ومؤسس هذه الفرقة هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي استطاع أن يثار للحسين ويشكل بمن حاربوه أو اشتركوا في قتله . ثم بسط سلطانه على بلاد العراق والجزيرة وفارس وأرمينية ودعا الناس إلى مبايعة محمد بن علي الملقب ابن الحنفية ، وأمه تسمى خولة من بني حنيفة ، واستدل المختار على إمامة ابن الحنفية بأن علياً دفع إليه اللواء يوم الجمل . ويقال إنه أخذ مذهبه هذا من كيسان مولى علي ، وقيل إن كيسان هذا لقب المختار . وكان محمد بن الحنفية في ذلك الوقت مقيماً في مكة فقبض عليه ابن الزبير وحبسه مع نفر من شيعته في سجن عارم . ولما بلغه أن جيشاً من أنصار ابن الحنفية يعد العدة للهجوم على السجن وتخليص من فيه ، أمر بوضع الخشب والنيران في السجن . وفي تلك اللحظة التي اشتعلت فيها النيران وصل نفر من أنصار ابن الحنفية واستطاعوا أن ينقذوه . وقد مات محمد بن الحنفية سنة ٨١ هـ وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان وكان إلى المدينة ودفن بالبقيع . وبموته انقسم الكيسانية إلى فرقتين : الفرقة

الأولى أصحاب أبي كرب الضرير وقد عرفت بالكربية . وهذه الفرقة تزعم أن محمد بن الحنفية حتى لم يمت وأنه مقيم بجبل رضوى وعن يمينه أسد وعن يساره نمر وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل يأخذ منهما رزقه . وأنه سيخرج من هذا الجبل ويعود إلى الدنيا فيملؤها عدلا كما ملئت جورا ، وأنه هو المهدي المنتظر . وفكرة الرحلة هذه ظهرت بين المسلمين لأول مرة عند وفاة الرسول ، وكان أول من تكلم بها عمر بن الخطاب إذ قال إن الرسول لم يمت ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران وإنه سيرجع كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات . وكان يلتقى إلى هذه الفرقة من الشيعة الشاعران الكبيران كثير والسيد الحميري ؛ فقد كان كل منهما يدين بإمامة محمد بن الحنفية ويؤمن بالرجعة ؛ وقد قالوا في ذلك شعرا كثيرا تراه في موضعه من هذا الكتاب .

أما الفرقة الثانية فقالت بوفاة ابن الحنفية ونقلت الإمامة بعده إلى ابنه أبي هاشم . وقد انشعبت هذه الفرقة بسبب الاختلاف في اختيار الإمام إلى شعب كثيرة .

وأما من لم يقل بالنص على محمد بن الحنفية فقد جعل الإمامة في الحسن والحسين . واختلفوا فيما بينهم اختلافا كبيرا . فمنهم من أجراها في أولاد الحسن فقال بعده بإمامة ابنه الحسن ثم ابنه عبد الله ثم ابنه محمد ثم أخيه إبراهيم . ومحمد وإبراهيم خرجا على المنصور ، ودارت بين محمد والمنصور مكاتبات بشأن أحقية كل منهما في الخلافة ، فكتب المنصور

إلى محمد بن عبد الله بعد خروجه يعرض عليه الأمان فرد عليه محمد بخطاب طويل أتينا به في غير هذا الموضع من الكتاب فلما قرأه المنصور ، استدعى الكتاب ليردوا على محمد بن عبد الله ثم بدا له أن يرد بنفسه فأملى رسالة طويلة أثبتناها عند الكلام على أثر التشيع في النثر . وقد انهزم محمد وأخوه إبراهيم وقتلا شر قتلة .

ومن الشيعة من أجرى الوصية في أولاد الحسين وقال بعده بإمامة ابنه علي بن الحسين نضا عليه ، ثم اختلفوا بعده فمنهم من قال بإمامة ابنه زيد وهؤلاء هم الزيدية وهم موجودون حتى أيامنا هذه في بلاد اليمن . ومنهم من قال بإمامة محمد بن علي الباقر نضا عليه ، ثم بإمامة جعفر بن محمد وصية إليه وهؤلاء هم الإمامية . ثم اختلفوا بعده في أولاده من المنصوص عليه . وهكذا ظل الشيعة ينقسمون إلى فرق كثيرة . ومن أشهر الفرق الباقية إلى اليوم الإمامية الاثنا عشرية . وإليها كان ينتمي الشاعران الكبيران الشريف الرضي وتلميذه مهيار الديلمي . ومن الفرق العظيمة فرقة الإسماعيلية وهي مازالت إلى عصرنا هذا منتشرة في بلاد الهند وزعيم هذه الفرقة أغاخان الذي يقضى معظم وقته في أوروبا

والشيعة معتقدات غريبة في الأئمة فهم يضعونهم في منزلة الآلهة ، ويسندون إليهم العصمة ، ويغلون في ذلك غلوا كبيرا . أنظر إلى ابن هاني الأندلسي حيث يقول في مدح المعز لدين الله الفاطمي .

أتبعته فكرتني حتى إذا بلغت غاياتها بين تصويب وتصعيد
رأيت موضع برهان يلوح وما رأيت موضع تكييف وتحديد

قال ابن أبي الحديد^(١) « وهذا مدح يليق بالخالق تعالى ولا يليق
بالمخلوقين » وهم يرون أن طاعة الإمام من طاعة الله فهي ركن من أركان
الدين وأساس من أسس الإيمان ، لا فرق بينها وبين أية فريضة من
الفرائض . كما يرون أن الإمام هو الذي يشمع لأمته فبِهِ نَجاة ، وليس
للإنسان ملجأ سواه . هو الذي يحط عنهم ذنوبهم وخطاياهم ، ويخلصهم
من الإصر والأوزار . قال ابن هاني :

فَرَضَانِ مِنْ صَوْمٍ وَشُكْرِ خِلَافَةٍ	هَذَا بِهَذَا عِنْدَنَا مَقْرُونُ
فَارْزُقْ عِبَادَكَ مِنْكَ فَضْلَ شَفَاعَةٍ	وَاقْرُبْ بِهِمْ زُلْفَى فَأَنْتَ مَكِينُ
لَكَ - حَمْدُنَا لَا أَنَّهُ لَكَ مَفْخَرُ	مَا قَدَّرَكَ الْمَشُورُ وَالْمَوْزُونُ
قَدْ قَالَ فِيكَ اللَّهُ مَا أَنَا قَائِلُ	فَكَأَنَّ كُلَّ قَصِيدَةٍ تَضْمِينُ

وقال من قصيدة أخرى :

هَذَا الَّذِي تُرَجَى النِّجَاةُ بِحَبِّهِ	وَبِهِ يُحْطِ الْإِصْرُ وَالْأَوْزَارُ
هَذَا الَّذِي تُجَدَى شَفَاعَتُهُ غَدَا	حَقًّا وَتَحْمُدُ أَنْ تَرَاهُ النَّارُ
مِنْ آلِ أَحَدٍ كُلُّ فَخْرٍ لَمْ يَكُنْ	يُنْعَى إِلَيْهِمْ لَيْسَ فِيهِ فَخَارُ

ومنها :

أَبْنَاءَ فَاطِمَ هَلْ لَنَا فِي حَشْرِنَا	لِجَاءِ سِوَاكُمْ عَاصِمٌ وَنُجَارُ
أَنْتُمْ أَحِبَاءُ إِلَهِ وَآلِهِ	خُلَفَاؤُهُ فِي أَرْضِهِ الْإِبْرَارُ
أَهْلُ النَّبَوَّةِ وَالرَّسَالَةِ وَأُلْهَدَى	فِي الْبَيِّنَاتِ وَسَادَةُ أَطْهَارُ

(١) شرح ابن أبي الحديد جزء ١ ص ٢٠ طبعة الحلبي .

— ٢٠ —

والوحي والتأويل والتحريم والتحليل لاخلف ولا إنكار
إن قيل من خير البرية لم يكن إلاكم خلق إليه يُشار
لو تلمسون الصخر لا تبجست به وتفجرت وتدققته أنهار
أو كان منكم للرؤفات مخاطب لبوا وظنوا أنه إنشار
ويرى الشيعة أن الإمام من نور الله .

قال ابن هاني :

وما سار في الأرض العريضة ذكره ولكنه في مسلك الشمس سالك
وما كنه هذا النور نور جبينه ولكن نور الله فيه مُشارك
ويعتقدون أن حب علي وآله كافٍ لمحو أكبر الذنوب ؛ فكان منهم
من يشرب الخمر فإذا لامه أحد على ذلك أجاب بأن حب علي كفيلاً بأن
يضع أعظم وزر عن عاتق مرتكبه ؛ وفي ذلك يقول أحد شعرائهم .
حُبُّ عليٍّ في الوردى جنةٌ فاح بها ياربُّ أوزارى
لو أن ذميًّا نوى جبهه حصن في النار من النار
وهم يقولون إن لكل نبي وصياً وإن محمداً خاتم الأنبياء وعلياً
خاتم الأوصياء .

وقد سرى كثير من عقائد الشيعة إلى سائر الفرق الإسلامية ،
فأصبح المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يؤمنون بالمهدي المنتظر .
أخذ الصوفيون هذه الخرافة ووضعوها في قالب جديد ، فسموا المهدي

قطبا وقالوا عنه «إنه»^(١) يدبر الأمر في كل عصر، وهو عماد السماء ولولاه لوقعت على الأرض . ولهذا القطب مساعدون يسمون بالنقباء لهم في زعم المتصوفة قدرة فائقة على استخراج ما تكنه النفوس وما تخفيه الأرحام . قد كشف عنهم الحجاب ، فأصبحوا يعرفون من إبليس ما لا يعرفه عن نفسه ، ويقول رجال الطرق^(٢) الصوفية إن الأشياخ سلم الطريق ، لأن الطريق سماء لا يتوصل إليها إلا بالسلم ، والأشياخ واسطة بين المرء وربّه .

وفي مصر نرى كثيرين يعتقدون بوجود شخص يسمى الخضر ، ويسندون إليه من الخوارق والمعجزات ما لم يسند الأنبياء من قبل ، ويقولون إنه لن يموت إلا عند قيام الساعة . والعامّة معذورون عندنا لأن رجال الدين لا يكافحون مثل هذه الخرافات .

ولما كانت الإمامة ركنا من أركان الإيمان عند الشيعة ، وكانوا يعتقدون بإمامة عليّ بالنص ، ترتب على هذا أن يكون حب عليّ أساسا من أسس الإيمان . وقد ساقهم هذا إلى تكفير كل من نأوا عليا أو نازعه في هذا الحق . قال بذلك معظم فرق الشيعة عدا قليل منهم ، فإنهم لم يحكموا على من خالف عليا بالكفر والخروج عن الدين . فأما الأولون وهم الغلاة فقد كفروا أبا بكر وعمر وعائشة وغيرهم ، وبالغوا في ذلك حتى جعلوا لعنهم قربة إلى الله . ومن هنا نستطيع أن نفهم المطاعن الكثيرة التي زخر بها الأدب الشيعي في حق الخلفاء الأولين ،

(١) الفتوحات المكية لابن العربي .

(٢) كتاب المنهج الحنيف لأحد الصوفيين — مخطوط .

فقد كان السيد الحميرى وابن الحجاج ومهيار الديلبى يكثرّون من سب هؤلاء القادة وهم يرون فى ذلك ما يقربهم من الله وما يضمن لهم الجنة التى أعدت للمتقين .

وقد اعتاد أعداء الشيعة أن يطلقوا على كل من عرف بتشيعه كلمة « رافضى » والحق أن الرافضة فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن على بن الحسين ، ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين (أبى بكر وعمر) نقاتل معك ؛ فأبى وقال : كانا وزيرى جدى ، فلا أبرأ منهما ؛ فتركوه ورفضوه ورفضوا عنه فسموا الرافضة ^(١) لذلك .

ومن هذا يتضح أن الرافضى هو الذى يرفض أبى بكر وعمر ، ولا يرى لأحد حقا فى الخلافة سوى على . إلا أن كلمة رافضى كانت تطلق تشفيا وانتقاما من كل من أبدى حبا لآل على . قال الإمام الشافعى :
إِنْ كَانَ رَفُضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَيْنِ أَيْ رَافِضِي
وقال :

بَرِئْتُ إِلَى الْمُهَيْمِنِ مِنْ أَنْاسِي يَرَوْنَ الرُّفُضَ حُبَّ الْفَاطِمِيَّةِ
عَلَى آلِ الرَّسُولِ صَلَاةُ رَبِّي وَلَعْنَتُهُ لَتلكَ الْجَاهِلِيَّةِ

(١) انظر القاموس وشرحه فى مادة (رفض) .

الفصل الأول

في النشر

(١) الخطابة

لما قام الخلاف بين علي ومعاوية شرع كل منهما يخطب في جنوده وأنصاره محرضا إياهم على القتال والكفاح ، فراجت سوق الخطابة رواجاً عظيماً ، وارتفع شأنها إلى درجة لم يسبق لها مثيل ، وكثر الخطباء في كل قطر من علويين وأمويين وخوارج ، كل يؤيد وجهة نظر الحزب الذي ينتمي إليه ، وكل يحرص على أعدائه ويطعن فيهم ويرميهم بكل نقيصة . نهضت الخطابة في كل صقع : في الشام وفي العراق وفي مصر وفي الحجاز وفي اليمن . وامتاز أسلوبها بالقوة والمتانة وكثرة الاستشهاد بالقرآن والحديث والاقتباس من الشعر والأمثال فضلاً عن البراهين والأدلة التي يسوقها كل خطيب ليدعم بها رأيه ويؤيد مذهبه . وكانت الخطب ، ولا سيما خطب العلويين تفيض بالعواطف وتزخر بالحماسة وتطفح بالتحريض على القتال والنزال . فيها تهديد بغضب الله على كل من يتخلف عن الجهاد وفيها ترغيب بدخول الجنة لمن يحاهدون ويكافون . وقد بلغت في الطول درجة لم تصل إليها من قبل .

ومن أشهر خطباء ذلك العصر الإمام علي الذي امتاز بمضاء لسانه ، وعلو بيانه ، وقوة منطقته ، وسطوع حجته ، ومواتاة البلاغة له في خطبه

الناس ويتركونهم حتى تلبعث منهم الروائح الكريهة ، ثم يحرقونهم
ويذرونهم في الهواء . وسب الأمويون عليا على المنابر واخترعوا له
المثالب والنقائص . وحرموا على الناس ذكر اسمه أو اسم أحد من
أبنائه كما حرموا على الناس أن يسموا أبناءهم عليا أو حسنا أو حسينا .
ثم جاء دور بني العباس ، وكانوا العلويين أشد كرها ، وأعظم
بغضا ، فأمعنوا فيهم قتلا وحرقا ، واضطهادا وتعذيبا ، فأمر المنصور
فحمل إليه من المدينة كل من كان فيها من العلويين مقيدين بالسلاسل
والأغلال ، ولما وصلوا إليه وكان بالهاشمية ، حبسهم في سجن مظلم
لا يعرف فيه ليل من نهار . وكان إذا مات واحد منهم ترك معهم .
وأخيرا أمر بهدم السجن عليهم . وفي ذلك يقول أحد شعراء الشيعة :
والله ما فعلتُ أمةً فيهمُ معشَرَ ما فعلتُ بنو العباسِ
وقال أبو فراس :

مانال منهم بنو حرب وإن عظمَتْ تلكَ الجرائمُ إلا دونَ تيلِكُمُ
وقال الشريف الرضي :

ألا ليس فعلُ الأولينَ وإنْ علَا على قُبْحِ فِعْلِ الآخرينَ بَزَائِدِ
وقد بالغ الرشيد في التنكيل بالعلويين . ولم يخف الضغط عليهم
إلا حين ضعفت الخلافة العباسية وأصبح السلطان الفعلي في الممالك
الإسلامية للترك والديلم وبني حمدان .

كل هذه النكبات قد أثرت تأثيرا كبيرا في الأدب الشيعي نثره
وشعره . ولنا مبينون ما تركته من أثر في دولة النثر أولا ثم في دولة
الشعر ثانيا .

الباب الثاني

مقدمة

التشيع والأدب

جاء الأدب الشيعي صورة صادقة لما وقع على العلويين من اضطهاد . فقد قتل عليّ ، وأصبح آله يُستدلون ويُضامون ، ويُقصون ويمتهنون ، ويجرمون ويقتلون ، ويخافون ولا يأمنون على دماءهم وولياهم . فقتل أنصار علي في كل قطر وكل مصر في عهد معاوية ، وعذبوا تعذيباً مرا ، قطعت منهم الأيدي والأرجل على الظنة . من ذكر بحب آل عليّ سجن أو نهب ماله أو هدمت داره . وكان البلاء يشتد على العلويين يوماً بعد يوم . فقتل الحسين على صورة مؤلمة في كربلاء ، ثم جاء الحجاج فبطش بهم بطش عزيز مقتدر حتى أصبح اتهام الرجل بالزندقة والكفر أهون عليه بكثير من اتهامه بحب آل عليّ . فقد أقتن الأمويون في طرق الإعدام ، فمن دفن للناس وهم أحياء ، إلى صلب على جذوع النخل ، إلى حرق ، إلى حبس ومنع الهواء والأكل والماء عن المحبوس حتى يقضى نجه جوعاً وعطشاً . كانوا يرتكبون هذه الآثام في وحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً فيقطعون رأس الابن أو الزوج ويعثون بهذا الرأس إلى الأم أو الزوجة ويلقونه في حجرها . وكانوا يصلبون

وكتبه ورسائله وسوايغ حكمه وجوامع كلمه . قال الشريف الرضى فى مقدمة نهج البلاغة يصف عليا : « كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، وملشأ البلاغة ومولدها ، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمتلته هذا كل قائل وخطيب ، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا ، وقد تقدم وتأخروا ، لأن كلامه عليه السلام الكلام الذى عليه مسحة من العلم الإلهى ، وفيه عبقة من الكلام النبوى . » ومن بليغ خطبه قوله .

« أما بعد ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة . فمن تركه رغبة عنه ، ألبسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، ودبث بالصغار والقهارة ، وضرب على قلبه بالإسهاب ، وأدب الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ومنع النصف . إنا قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، سرا وإعلانا ، وقلت لكم اغزوه قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم قط فى عقر دارهم إلا ذلوا فتوا كلمهم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات ، ومليكت عليكم الأوطان . وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار ، وقد قتل حسان البكرى وأزال خيلكم عن مسالحها . ولقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها ^(١) وقلبيها ^(٢) ، وقلائدَها ورعشها ^(٣) ، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع ^(٤) والاسترحام ، ثم انصرفوا وافرین ، مانال رجلا منهم كلم ، ولا أريق لهم دم . » وهى طويلة يراها القارىء فى كثير من

(١) الحجل بالكسر الحلحال . (٢) السوار .

(٣) واحده رعة بالفح وهو الفوط . (٤) تردد الصوت بالبكاء .

كتب الأدب لا سيما البيان والتبيين للجاحظ والكامل للمرد . وأنت ترى أن عليا بدأ خطبته بالترغيب في الجهاد الذي هو باب من أبواب الجنة وطريق يؤى إلى النعيم المقيم ، وترك هذا الجهاد يسوق الناس إلى الذل والعبودية . ثم أخذ يستنفر قومه إلى الحرب فذكر أن عسكر أخى غامد قد دخلت الأنبار وارتكبت فيها من الجرائم شيئا كثيرا . قتلت الرجال وحرقت الدور ودمرت الأحياء . ثم وضع على يده على أهم ما يثير العربى وهو العرض فأخبرهم أن الرجل من هؤلاء الغزاة كان يدخل على المرأة فيسلبها حليها وينصرف آمنا مطمئنا .

* * *

أما الأمويون فكانوا يملئون خطبهم بالشتائم والسباب والمطاعن والمثالب فى على وآل بيته . وكان الخطباء فى المساجد يحتمون خطبة الجمع بلعن على والترحم على عثمان والاستغفار له ، وإطراء شيعته . روى الطبرى أن معاوية بن أبى سفيان لما ولى المغيرة بن شعبه الكوفة فى جمادى سنة ٤١ هـ ، دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . . . « أردت إيصاءك بأشياء كثيرة ، فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضينى ويسعد سلطانى ، ويصلح به رعيتى ، ولست تاركا إيصاءك بخصلة ، لا تتحَم^(١) عن شتم على وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب على أصحاب على والإقصاء لهم وعدم الاستماع منهم »^(٢) قال الطبرى « إن المغيرة أقام عاملا على الكوفة لمعاوية سبع سنين وأشهرها وهو من أحسن شىء سيرة وأشدّه حبا للعافية ، غير أنه لا يدع ذم على والوقوف فيه والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم ، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه . »

(١) لا تتحَم .

(٢) تاريخ الطبرى ٦ ص ١٤١ طبع أوروبا .

(٢) الرسائل

ظهر أثر التشيع واضحا جليا في الرسائل التي تبودلت بين عليٍّ ومعاوية وبين الحسن ومعاوية وبين زينب بنت علي وبين يزيد ، وبين محمد بن عبد الله وبين المنصور ، وبين غير هؤلاء من علويين وأمويين أو علويين وعباسيين . وقد امتازت هذه الرسائل بطولها ، وبقوة أسلوبها ومثانة تركيبها . ترى فيها الحجج القوية ، والبراهين الساطعة ، والأدلة الواضحة التي يأتي بها كاتبها تأييدا لما يقول ، وطعنا على صاحبه واسقاطا لما يدعى في الخلافة ، واطهارا لنقائص الخصم ومثالبه . فيها ترغيب وتهديد ، ووعد ووعد .

وامتازت هذه الرسائل كذلك بكثرة الاقتباس من القرآن والحديث والحكم والأمثال والشعر . ومن أمثلة ذلك أن المنصور بعث رسالة إلى محمد بن عبد الله بالمدينة ، وكان قد خرج عليه ، وأعلن الحرب ضده — يرغبه ويرهبه ، وينذره عاقبة الخروج والعصيان ، ويبذل له الأمان إن تاب وعاد إلى الجماعة . فكتب إليه محمد بن عبد الله هذا الكتاب

« بسم^(١) الله الرحمن الرحيم . من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله إلى عبد الله بن محمد . طسم ، تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن فرعون نجلا في الأرض وجعل أهلها شيعة ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ، ويستخفي نساءهم ، إنه كان من المفسدين . ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في

(١) تاريخ الطبري ج ٩ ص ٢٠٨ .

الأرض ، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحسدون . وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذى عرضت على ، فإن الحق حقنا ، وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وإن أبانا عليا كان الوصى ، وكان الإمام . فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟ ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالتنا ، وشرف آبائنا ؛ لسنا من أولاد اللعناء ولا الطرداء ، ولا الطلقاء . وليس يمت أحد من بنى هاشم بمثل الذى نمت به من القرابة والسابقة والفضل ، وإنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو في الجاهلية ، وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم . إن الله اختارنا واختار لنا ، فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن السلف أولهم إسلا ما على ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة ، وأول من صلى القبلة ، ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولدين في الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة ؛ وإن هاشما ولد عليا مرتين وإن عبد المطلب ولد حسنا مرتين وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين من قبل حسن وحسين . وإنى أوسط بنى هاشم نسباً ، وأصرحهم أما وأبا ، لم تعرق في العجم ، ولم تتنازع في أمهات الأولاد . فما زال الله يختار لى الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام حتى اختار لى فى النار ، فأنا ابن أرفع الناس درجة فى الجنة وأهونهم عذاباً فى النار ، وأنا ابن خير الأخيار ، وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة ، وابن خير أهل النار . ولك الله-على إن دخلت فى

طاعتي ، وأجبت دعوتي . أن أوثمنك على نفسك ومالك ، وعلى كل أمر أحدثته إلا حداً من حدود الله ، أو حقاً لمسلم أو معاهد ، فقد علمت ما يلزمك من ذلك ، وأنا أولى بالأمر منك ، وأوفى بالعهد ، لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجالاً قبلي : فأى الأمانات تعطيني ؟ أأمان ابن هُبَيْرَة ؟ أم أمان عمك عبدالله بن علي ؟ أم أمان أبي مسلم ؟ ؟ فأنت ترى في هذه الرسالة أن كاتبها محمد بن عبدالله عرض فيها نظرية العلويين السياسية والدينية ، وهى أنهم ورثوا الخلافة عن النبي لأن أباهم كان وصي النبي ، ولأن أهمهم بنت النبي ، وما كان لغيرهم أن يلي الخلافة وهم أحياء . ثم أخذ بعد ذلك يفتخر بقرابته من النبي ومكانته منه في الإسلام وفي الجاهلية ؛ وبهذه الكرامة التى خص الله بها أهل البيت . ثم ذكر أنه ابن خير الأخيار وخير الأشرار ، وخير أهل الجنة وخير أهل النار . أراد أبا طالب الذى مات ولم يسلم ، فيروى أنه أقل أهل النار عذاباً لما قام به نحو النبي من واجب العطف والرعاية . ثم ختم رسالته بفقرة بلغت من القوة مبلغاً عظيماً ، حتى إن المنصور لم يستطع لها دفعا ، لأنها كانت من الحق بحيث لا يمكن دفعها . هذه الفقرة التى يذكر فيها خيانة المنصور لقوم استأمنوه فأمنهم ، ثم غدر بهم ، ونقض عهده ، وأخذهم على غرة وهم عزل من كل سلاح . وقد وقع هذا الخطاب وقوع الصاعقة فى قصر المنصور ، فاهتم به اهتماماً كبيراً ، وانتدب الكتاب والأمراء للرد عليه ، ولكنهم لم يوفقوا إلى إرضائه فيما كتبوا ، فتولى الرد بنفسه ، وأملى هذه الرسالة .

» بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، إلى

محمد بن عبد الله : أما بعد ، فقد بلغني كلامك ، وقرأت كتابك ، فإذا جل غفرك بقرابة النساء ، لتضل به الجفأة والعوغاء ؛ ولم يجعل الله الدساء كالعمومة والآباء ، ولا كالعصبة والأولياء ؛ لأن الله جعل العم أبا وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا ، ولو كان اختيار الله لمن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهن رحما ، وأعظمهن حقا ، وأول من يدخل الجنة غدا ، ولكن اختيار الله لخلقه على عليه لما مضى منهم واصطفائه لهم .

وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب وولادتها ، فإن الله لم يرزق أحدا رزق الإسلام ، لا بنتا ولا ابنا . ولو أن أحدا رزق الإسلام بالقرابة ، رزقه عبد الله أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ؛ ولكن الأمر لله يختار لدينه من يشاء ؛ قال الله عز وجل : إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين . ولقد بعث الله محمدا عليه السلام وله عمومة أربعة ، فأنزل الله عز وجل : وأنذر عشيرتلك الأقربين . فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان : أحدهما أبي : وأبي اثنان : أحدهما أبوك ، فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه وبينهما إلا ولا ذمة ولا ميراثا .

وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذابا ، وابن خير الأشرار ، وليس في الكفر بالله صغير ، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير . وليس في الشر خيار ؛ ولا يلغى لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار ، وسترده فتعلم . « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

أما ما غفرت به من فاطمة أم علي ، وأن هاشما ولده مرتين ، ومن فاطمة أم حسن وأن عبد المطلب ولده مرتين وأن النبي صلى الله عليه وسلم ولدك

سرتين ، نخير الأولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلد هاشم إلا مرة ، ولا عبد المطلب إلا مرة ؛ وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسبا ، وأصرحهم أما وأبا ، وأنه لم تلدك العجم ، ولم تعرق فيك أمهات الأولاد ، فقد رأيتك نفرت على بني هاشم طرا . وانظر ويحك أين أنت من الله غدا ، فإنك قد تعديت طورك ، ونفرت على من هو خير منك نفسا وأبا ، وأولا وآخر ، إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ولد ولده . وما خيار بني أبيك خاصة ، وأهل الفضل منهم ، إلا بنو أمهات أولاد . وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن حسين ، وهو لأم ولد ، وهو خير من جدك حسين بن حسن ؛ وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدته أم ولد ، وهو خير من أبيك . ولا مثل ابنه جعفر ، وجدته أم ولد ، وهو خير منك .

أما قولك إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله تعالى يقول في كتابه : « ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم » . ولكنكم بنو ابنته . وإنها لقراءة قريبة ، ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الإمامة ، فكيف تورث بها ؟ ولقد طلب بها أبوك بكل وجه ، فأخرجها نهارا ، ومرضها سرا ، ودفعها ليلا ، فأبى الناس إلا الشيخين ، وتفضيلهما . ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين ، أن الجد أبا الأم والخالة لا يرثون . وأما ما نفرت به من علي وسابقتها ، فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة ، فأمر غيره بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه . وكان في الستة فتركوه كلهم ، دفعا له عنها ، ولم يروا له حقا فيها . أما عبد الرحمن فقدم

عليه عثمان ، وقتل عثمان وهوله مُتَّهِم . وقَاتَلُهُ طَلْحَةُ وَالزَّيْبِر . وَأَبَى سَعْدُ
بَيْعَتَهُ ، وَأَغْلَقَ دُونَهُ بَابَهُ ، ثُمَّ بَايَعَ مَعَاوِيَةَ بَعْدَهُ . ثُمَّ طَلَبَهَا بِكُلِّ وَجْهٍ ،
وَقَاتَلَ عَلَيْهَا ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَشَكَّ فِيهِ شِيعَتُهُ قَبْلَ الْحُكُومَةِ ، ثُمَّ
حَكَّمُ حَكَمَيْنِ رَضِيَ بِهِمَا ، وَأَعْطَاهُمَا عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ ، فَاجْتَمَعَا عَلَى خُلْعِهِ ،
ثُمَّ كَانَ حَسَنٌ ، فَبَاعَهَا مِنْ مَعَاوِيَةَ بِخَرْقٍ وَدِرَاهِمٍ ، وَلَحَقَ بِالْحِجَازِ ، وَأَسْلَمَ
شِيعَتُهُ بِيَدِ مَعَاوِيَةَ ، وَدَفَعَ الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَأَخَذَ مَا لَا مِنْ غَيْرِ وَلَا تَه
وَلَا حِلَّهَ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِيهَا شَيْءٌ فَقَدْ بَعْتُمُوهُ ، وَأَخَذْتُمْ ثَمَنَهُ . ثُمَّ خَرَجَ
عَمَكَ حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى ابْنِ مَرْجَانَةَ ، فَكَانَ النَّاسُ مَعَهُ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلُوهُ ،
وَأَتَوْا بِرَأْسِهِ إِلَيْهِ . ثُمَّ خَرَجْتُمْ عَلَى بَنِي أُمِيَّةَ ، فَقَتَلُوكُمْ وَصَلَبُوكُمْ عَلَى جَذُوعِ
النَّخْلِ ، وَأَحْرَقُوكُمْ بِالنِّيرَانِ ، وَنَفَوْكُمْ مِنَ الْبِلَادِ ، حَتَّى قَتَلَ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ
بِخِرَاسَانَ ، وَقَتَلُوا رِجَالَكُمْ ، وَأَسْرَوْا الصَّبِيَّةَ وَالنِّسَاءَ ، وَحَمَلُوهُنَّ بِلَا وَطَاءٍ
مِنَ الْحَامِلِ ، كَالصَّبِيِّ الْمَجْلُوبِ إِلَى الشَّامِ ، حَتَّى خَرَجْنَا عَلَيْهِمْ ، فَطَلَبْنَا
بَثَارَكُمْ ، وَأَدْرَكْنَا بِدِمَائِكُمْ ، وَأَوْرَثْنَاكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ ، وَسَنَيْنَا سَلْفَكُمْ
وَفَضْلُنَا ، فَاتَّخَذْتَ ذَلِكَ عَلَيْنَا حِجَّةً ، وَظَنَنْتَ أَنَا ذَكَرْنَا أَبَاكَ وَفَضْلُنَا ،
لِلتَّقْدِمَةِ مَنَالَهُ عَلَى حِمْزَةِ وَالْعَبَّاسِ وَجَعْفَرٍ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَمَا ظَنْنْتَ . وَلَكِنْ
خَرَجَ هَؤُلَاءُ مِنَ الدُّنْيَا سَالِمِينَ ، مُتَسَلِّبِينَ مِنْهُمْ . مَجْتَمِعِينَ عَلَيْهِمْ بِالْفَضْلِ ،
وَابْتَلَى أَبُوكَ بِالْقِتَالِ وَالْحَرْبِ ، وَكَانَتْ بَنُو أُمِيَّةَ تَلْعَنُهُ كَمَا تَلْعَنُ الْكُفْرَةَ
فِي الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ ، فَاحْتَجَجْنَا لَهُ ، وَذَكَرْنَا لَهُمْ فَضْلَهُ ، وَعَنْفَنَاهُمْ وَظَلَمْنَاهُمْ
بِمَا نَالُوا مِنْهُ . وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَكْرَمَتَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ سَقَايَةُ الْحَجِيجِ
الْأَعْظَمِ ، وَوَلَايَةُ زَمْزَمَ ، فَصَارَتْ لِلْعَبَّاسِ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِ ، فَزَاعَنَا فِيهَا

أبوك ، فقضى لنا عليه عمر ، فما نزل عنها في الجاهلية والإسلام . ولقد قحط أهل المدينة ، فلم يتوسل عمر إلى ربه ، ولم يتقرب إليه إلا بأبينا ، حتى نعشهم الله وسقامهم الغيث ، وأبوك حاضر لم يتوسل به . ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي صلى الله عليه وسلم غيره . فكان وارثه من عمومته . ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده . فالسقاية سقايته ، وميراث النبي له ، والخلافة في ولده . فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام ، في دنيا ولا آخرة ، إلا والعباس وارثه ومورثه . وأما ما ذكرت من بدر ، فإن الإسلام جاء والعباس يملكون أبا طالب وعياله ، وينفق عليهم ، للأزمة التي أصابته ، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرها ، لمات طالب وعقيل جوعا ، أو يلحسا جفان عتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطعمين ، فأذهب عنكم العار والسبة ، وكفناكم النفقة والمؤونة ، ثم فدى عقيل يوم بدر ؛ فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحزنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدر كنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا إلا أنفسكم . والسلام عليك ورحمة الله .

وقد أتيت بهاتين الرسالتين ، لأضع أمام القارىء صورة من حرب الأقاليم ، وهي لم تكن أقل عنفا وشدة من حرب السهام . وكما كانت رسالة محمد بن عبد الله قوية جدا ، كذلك كانت رسالة المنصور في غاية

القوة ، ومنتهى الشدة ، فاستطاع أن يرد على خصمه رداً مفجعا ، وأن يهدم مفاخر العلويين هدماً تاماً ، ويقيم على أنقاضها مفاخر العباسيين ، وأن يقضى على نظرية العلويين في الحكم قضاء مبيناً ، مدللاً على قوله بالقرآن والسنة والإجماع ؛ فبين أن العم أحق بالوراثة من البنت ، وأن العباس قد ورث النبي ، فطبيعي أن يرثه أبناؤه من بعده . وذكر المنصور أن العلويين إن كان لهم بعض حق فيها ، فقد باعه حسن لمعاوية بخرق ودراهم ، وغير العلويين بنكرانهم الجميل ، وكفرهم النعمة . فقد نهض العباسيون وجاهدوا في سبيل الثأر لهم ، حتى نصرهم الله ووفقتهم ، وأدركوا الثأر ، وأذلوا الأمويين ، وأذهبوهم من الوجود ، ومع كل هذا لم يجدوا من أبناء عمهم إلا عقوقاً وجحوداً .

(٣) الحديث

والحديث كما تعلم جزء من الأدب . وقد اجتهد العلويون في وضع الأحاديث الكثيرة التي تثبت حق عليّ في الخلافة ، والتي ترفع من شأنه وتعلّي من مقامه . وقد بلغت الأحاديث التي وضعها الشيعة آلافاً . ويتضمن كتاب الكافي ، وهو عندهم بمنزلة صحيح البخاري عند السنّين ، طرفاً منها . قال ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة ^(١) : « واعلم أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة ، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم حملهم ، على وضعها عداوة خصومهم . »

(١) المجلد الثالث طبع مطبعة الحلبي ص ١٧ .

ثم قال : « فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث ، وقال في موضع آخر : « فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية أوسعوا في وضع الأحاديث » .
وهكذا ظل القوم يتنافسون في الوضع ، ويتسابقون في ميدان الكذب . وكان المرامون والمستضعفون من الرجال يضعون الأحاديث في فضائل عثمان وغيره من الصحابة ، ويتقربون بها إلى بني أمية ، الذين كانوا يجزلون لهم العطاء ، ويمنحونهم الجوائز والهبات . ثم أخذ الشيعة في وضع أحاديث تقتضي نفاق قوم من أكابر الصحابة والتابعين الأولين وكفرهم وفسقهم ، فقابلهم خصومهم بمطاعن كثيرة في علي وفي ولديه ، ونسبوه تارة إلى ضعف العقل ، وتارة إلى ضعف السياسة ، وتارة إلى حب الدنيا والحرص عليها . ولم يسكت المحدثون الراسخون في علم الحديث عن هذا ، بل ذكروا كثيرًا من هذه الأحاديث الموضوعة ، وبينوا وضعها ، وأن روايتها غير موثوق بهم . ومثال ذلك ما روى عن علي بن أبي طالب أنه قال :

« خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ مررنا بنخل ، فصاحت نخلة بأخرى هذا النبي المصطفى وعلى المرتضى ، ثم جزناها فصاحت ثانية بثالثة موسى وأخوه هارون ، ثم جزناها فصاحت رابعة بخامسة هذا نوح وإبراهيم ، ثم جزناها فصاحت سادسة بسابعة هذا محمد سيد المرسلين ، وهذا علي سيد الوصيين فتبسم ثم قال يا علي : إنما سمي نخل المدينة صيحانا لأنه صاح بفضل وفضلك . وهذا الحديث أورده الإمام السيوطي في كتاب اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة

مرويا عن ابن الجندی ثم ذکر أن ابن الجندی هذا كان شیعيا ضعيفا فی الروایة . ثم أورد السیوطی آراء علماء الحديث فيه وقد أجمعوا علی أنه موضوع .

ومثال آخر وهو ماروی عن محمد بن آیوب ومحمد الأسدی ومحمد ابن یونس الکدی « النظر إلى علی عبادة » ذکر السیوطی أن محمد بن آیوب مشهور بروایة الموضوعات ، ومحمد الأسدی ومحمد بن یونس الکدی مشهوران بالكذب . وما رواه حفص بن عمر الإيلي من أن النبی قال لعلی حین خرج لغزوة تبوك :

« المدينة^(١) لا تصلح إلا بی أو بك وأنت منی بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانی بعدی » . قال ابن حبان : حفص كذاب یحدث عن الأئمة بالبواطیل .

ولم یكتف العلویون بوضع الأحادیث التي تؤید وجهة نظرهم السیاسية ، بل وضعوا أحادیث تثبت أن علیا اختصه الله بما لم یختص به أحدا من البشر ، ومنحه من العلم والذكاء والشجاعة والحلم وسائر الفضائل ما لم یمنح غیره من الناس . ومثال ذلك ماروی عن ابن عباس أنه قال « قال رسول الله صلى الله علیه وسلم : أنا مدينة العلم وعلی بابها » أنكره ابن الجوزی وقال إنه موضوع .

وقد كان للفرس نصیب وافر فی وضع الأحادیث التي ترفع من شأن

(١) الآلیء المصوعة فی الأحادیث المصوعة للسیوطی طبع مصر من ١٧٧٠ .

على وآله ، وقد أقر بعضهم بذلك ومنهم ميسرة ^(١) بن عبد ربه الذى اعترف بأنه وضع سبعين حديثاً فى فضل على .

ومن أمثلة ما وضعه خصوم الشيعة ماروى من أن يهوديا أتى أبا بكر فقال : والذى بعث موسى وكله تكليماً إني لأحبك ، فلم يرفع أبو بكر رأسه تهاونا باليهودى ، فهبط جبريل ، وقال : يا محمد : إن العلى الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك قل لليهودى الذى قال لأبى بكر إني أحبك ، إن الله قد حاد عنه فى النار خلتين ، لا توضع الأنكال فى عنقه ولا الأغلال فى عنقه لحبه أبا بكر ، فأخبره ، فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، وما ازددت لأبى بكر إلا حبا ، فقال « هنيئاً لك ، أحاد الله عنك النار بحذافيرها ، وأدخلك الجنة لحبك أبا بكر » أتى به السيوطى فى كتابه الآنف الذكر ، وقد أنكره أئمة الحديث . وحديث آخر روى عن النبى أنه قال « يبعث معاوية يوم القيامة وعليه رداء من تور » ، جزم ابن الجوزى وابن حبان بأنه موضوع .

* * *

كثُر وضع الأحاديث كثيرة هائلة . وقد روى عن الإمام أبى حنيفة أنه لم يصح عنده إلا سبعة عشر حديثاً ، ولم يصح عند الإمام مالك إلا ثلثمائة حديث . ولم يصح عند البخارى إلا ٢٦٠٠ من أكثر من ٦٠٠٠٠ حديث سمعها الناس .

وقد تجاوزوا فى الوضع والكذب دائرة الأشخاص إلى القرآن ،

(١) مختصر علم الحديث لابن كثير هامس ص ٨٣ .

فهذه الآية تشفى من مرض كذا وتلك تذهب الفقر وتجلب الغنى وهكذا .
ومتال ذلك ماروى عن أبي هريرة أنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء ، ورووا أن النبي قال : « من كانت له حاجة فليتوضأ وضوءاً جيداً ، ثم يلزم موضعاً لا يراه أحد فيصلى أربع ركعات ، يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشر مرات ، وفى الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشرين مرة ، وفى الثالثة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة ، وفى الرابعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد أربعين مرة . فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة ، ثم يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم خمسين مرة ثم يستغفر الله سبعين مرة ، فإن كان عليه دين قضى الله دينه ، وإن كان فقيراً أعانه الله ، وإن كان غريباً رده الله إلى أهله ، وإن كان عليه من الذنوب حشو الدنيا يغفر الله له ، وإن لم يكن له ولد فيسأل الله يرزقه ولداً »

وقد انغمس فى الكذب والافتراء فريق من عرفوا بالتقوى والورع والنسك والزهد . فترتب على هذا أن الشعوب الإسلامية أصبحت العوبة فى يد فريق من الناس يسIRONها وفق أهوائهم ، ويستغلونها لمنفعتهم الخاصة باسم الدين وهم من أبعد الناس عن الدين . وقد أتر هذا فى حياة المسلمين وأدى بهم إلى نوع من الذل والعبودية وضرب من التأخر والانحطاط .

(٤) القصص

قيل إن معاوية كتب إلى عماله « أن ^(١) انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأذنوا بحالهم وقربهم وأكرمهم ، واكتبوا إلى بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته ، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء ويفيضة في العرب منهم والموالي ، فكثرت ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يحى أحد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقر به وشفعه فلبثوا بذلك حينا ، ولما كثرت الروايات في مناقب عثمان كتب معاوية إلى عماله ليحملوا الناس على الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا يتركوا منقبة يرووها أحد من المسلمين في أبي تراب إلا ويأتوا بمناقض لها في الصحابة مفتعلة ، فقرئت كتب معاوية على الناس في مختلف الأمصار فتسابق القوم في اختلاق المناقب وإلصاقها بكثير من الصحابة وجدوا في ذلك إلى أبعد حد ، وأشادوا بتلك المناقب على المنابر ودفعوا بما اختلقوا إلى معلى الكتاتيب فعلوا صييانهم وغلبانهم من ذلك الكثير حتى حفظوه كما يحفظون القرآن ، وعلوه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم ولما تولى الحجاج العراق ، واشتدت وطأه على العلويين ، تقرب إليه أهل النسك والصلاح يبغض على وعييه والطنن فيه ، كما أنهم أثبتوا قدرة

(١) شرح ابن أبي الحديد المجلد الثالث ص ١٥ وما بعدها .

فائقة على الكذب والافتراء فأضافوا قسطا وافرا إلى ما وضعه أسلافهم من الفضائل والمناقب وألصقوها بكثير من زعماء المسلمين الأولين .
فلما رأى العلويون ذلك عمدوا إلى مقابلة هذه الحركة بضدها وبرهنوا على أنهم لا يقلون عن خصومهم في القدرة على الوضع والاختلاق .
فصنعوا المناقب الكثيرة لصاحبهم ، ونسبوا إليه كل فضيلة ، واجتهدوا في ذلك اجتهدا كبيرا .

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة ، وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها ، ومجلى حليتها . كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ ، وله اقتفى ، وعلى مثاله احتذى . وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي ، لأن شرف العلم بشرف المعلوم . ومن كلامه عليه السلام اقتبس ، وعنه نقل ، وإليه انتهى ومنه ابتداء . فان المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل ، وأرباب النظر ، ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه ، لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه عليه السلام .

ومن خوارق العادات ما رواه صاحب الأغاني^(١) من أن عليا عزم على الركوب ، فلبس ثيابه ، وأراد لبس الخف ، فلبس أحد خفيه ثم هوى إلى الآخر فانقض عقاب من السماء فخلق به ثم اللقاء فسقط منه أسود^(٢) وانساب فدخل جحرا فلبس علي بن أبي طالب الخف . وفي ذلك يقول السيد الحميري :

(٢) الأسود : العظم من الحيات .

(١) ص ٦٠١

ألا يا قوم للعجب العجائب لخفّ أبي الحسين وللجباب
أتى خفّا له فانساب فيه لينشّ رجله منه بناب
فخرّ من السماء له عقاب من العقبان أو شبه العقاب
فطار به فخلق ثمّ أهوى به للأرض من دون السحاب
إلى جحرٍ له فانساب فيه بعيد القعر لم يرتج بباب
كرهه الوجه أسود ذو بصيص حديد الناب أزرق ذو لعاب
ودويع عن أبي حسن عليّ نقيع سمامه بعد انسياب

ولما شاع التدوين وانتشر التأليف ظهرت كتب كثيرة في مناقب
أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من أصحاب رسول الله . ذكر ياقوت^(١)
أن الطبري « رجع إلى طبرستان فوجد الرضا قد ظهر ، وسب أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهلها قد انتشر ، فأمل فضاء أبي بكر
وعمر حتى خاف أن يجرى على لسانه ما يكرهه فخرج منها من أجل
ذلك . »

قال ابن أبي الحديد^(٢) « ولقد كان الفريقان في غيبة عما اكتسبوا
واجترحاه ، ولقد كان في فضائل علي عليه السلام الثابتة الصحيحة
وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة ما يغني عن تكلف العصية لهما ، فإن
العصية لهما أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل ،
ومن تعديد المحاسن إلى تعديد المساويء والمقايح . »

(١) معجم الأدباء ج ١٨ / ٨٥ . (٢) المجلد الثالث طبع الحلبي ص ١٧ .

كانت هذه الكتب الكثيرة التي ألفت عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلى مبنية على الخيال ، فيها أساطير وخرافات فهي قصص أدبية فيها لذة كبيرة ومتعة عظيمة . وقد انتشرت هذه القصص بين الجمهور خصوصا مادار منها حول علي وأبنائه وُسُغف العامة بها شغفا عظيما وأقبلوا على تلاوتها في مجالس السمر . ومن هذا القبيل قصص كتبت في عصور مختلفة عن آل البيت مثل السيدة زينب حارسة مصر ، والحسن والحسين والسيدة نفيسة والسيدة عائشة والخضر وغير هؤلاء . ثم تجاوز الأمر آل البيت إلى الأولياء والأقطاب ، فوضعت كتب عن السيد البدوي ، والسيد أحمد الرفاعي ، وإبراهيم الدسوقي ، وعبد الرحيم القنأني ، والسيد أبي الحجاج .

وهكذا اجتهد المسلمون شيعيين وسنيين في نشر الخرافات والأوهام والأساطير والأباطيل حول زعماء المسلمين من آل البيت وغيرهم فتأثرت بها عقائد العامة وتصوراتهم في العصور المختلفة ، وترتب على ذلك أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تركوا الإسلام الصحيح الذي يقوم على التوحيد ، واتخذوا أربابا كثيرين يدعونهم من دون الله إذا مسهم الضر .

فترى من هنا أن التشيع قد أخرج نوعا من الأدب كان سببا في الهبوط بالمسلمين إلى هوة سحيقة من التأخر والانحطاط . وقد أفلح الوهابيون في القضاء على كثير من هذه الخرافات في داخل بلادهم ، أما في الأقطار الإسلامية الأخرى فالحال باقية كما هي عليه حتى بين طبقة المتعلمين .

(٥) اتتحال القول

ولم يقف أثر التشيع في النثر العربي عند ما قدمناه بل تعداه إلى شيء آخر ، وهو وضع أدباء الشيعة لأقوال وخطب ورسائل وإسنادها إلى أئمتهم وبخاصة علي بن أبي طالب . فقد أخذ ما ينسب إليه من خطب وأمثال وحكم يزداد يوما بعد يوم ، حتى أتى الشريف الرضى فجمع كل ما ينسب إليه في كتاب ضخيم سماه نهج البلاغة . ونخلوه كلاما يخلو من أشيع الحروف في الكلمات وهو حرف الألف . ولا يعقل أن يظهر مثل هذا التكلف قبل عصر العباسيين .

ونخلوه من مصطلحات علم الكلام أقوالا لم تعرف ولا يعقل أن تعرف قبل ترجمة المفردات الإغريقية بمالها من غرائب النحت والاشتقاق ومثال ذلك « وإنك أنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا ، ولا في روياي خواظرها فتكون محدودا مصرفا » . وما ينسب إليه قوله « سلوني قبل أن تفقدوني ، فإن بين كفتي علما جما خبرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام إليه صعصعة ابن صوحان ، فقال له يا أمير المؤمنين : متى يخرج الدجال ؟ فقال له أقعد يا صعصعة ، فقد علم الله جل ثناؤه مقامك ، ولكن له علامات وهنات وأشباه يتلو بعضها بعضا حذو النعل بالنعل تكون في حول واحد فإن شئت نبأتك بعلاماته . فقال عن ذلك سألتك يا أمير المؤمنين ، قال له : أعقد بيدك يا صعصعة . إذا أمارت الناس الصلاة ، وأضاعوا

الأمانة ، واستحلوا الكذب ، وأكلوا الربا ، وأخذوا الرشا ، وشيدوا البناء ، واتبعوا الأهواء ، وباعوا الدين بالدنيا ، واستخفوا بالدماء ، وكان الحلم ضعفا ، والظلم نفرا ، والأمراء فجرة ، ووزراؤهم وأمنائهم خونة ، وقرأؤهم فسقة ، ويظهر الجور ، ويكثر الطلاق وموت الفجاءة ، وحليت المصاحف ، وزخرفت المساجد ، وطولت المنابر ، وخربت القبور ، ونقضت العهود ، واستعملت المعازف ، وشربت الخمر^(١) .

فظاهر من هذه القطعة أنها لا يمكن أن تصدر إلا عن شخص عاش في العصر العباسي الثاني ، حينما انغمس الناس في الترف والنعيم ، فأنشأوا القصور الفخمة ، وأقاموا المساجد العظيمة ، وتألقوا في بنائها وزخرفوها وبرعوا في زخرفتها . وشملت عنايتهم جميع فروع الحياة من ملبس ومأكل ومسكن . وتفنتوا في كتابة المصاحف وتجليتها بالذهب والفضة ، وأبدعوا في ذلك إبداعا عظيما . فأين كل هذا من عصر علي ؟

وعلاوة على ما تقدم فإن أدباء الشيعة وضعوا كثيرا من القطع الأدبية والخطب والرسائل التي تؤيد مذهبهم وتدعم رأيهم أو التي ترفع من شأن علي وأبنائه ، وأجروها على ألسنة أشخاص مختلفين . ومثال ذلك ما رواه أبو علي القالي^(٢) في كتاب الأمل من أن معاوية قال لضرار الصدائي : يا ضرار صف لي عليا رضي الله عنه . قال أعفني يا أمير المؤمنين . قال لتصفه . قال : أما إذ لا بد من وصفه ، فكان والله بعيد

(١) نهج البلاغة .

(٢) أمالي القالي ج ٢ ص ١٤٩ .

المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا وبحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن . كان فينا كأحدنا ، يحينا إذا سألناه ، وينبأنا إذا استبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه وقد مثل في محرابه ، قابضا على لحيته ، يتململ تملل السليم ، ويبكي بكاء الحزين . ويقول يا دنيا غري غري . إلى تعرضت ؟ أم إلى تشوفت ؟ هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها . فعمرك قصير ، وخطرك حقيق . آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ووحشة الطريق . فبكي معاوية ، وقال : رحم الله أبا الحسن « وفي رواية أخرى فبكي معاوية ووكف دموعه على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه : وقد اختنق القوم بالبكاء ، وقال رحم الله أبا الحسن » . كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدها في حجرها .

أما بعد ، فهل كان معاوية يجهل عليا ويحتاج إلى من يصفه له ؟ كلا ! لقد كان معاوية يعرف عليا معرفة جيدة ولا يجهل شيئا من أخلاقه وعاداته .

ثم إنك ترى بعد ذلك أن معاوية ومن معه بكوا حتى كادوا

يختنقون من البكاء ، تدفقت دموعهم ، وانهمرت عبراتهم . ثم ترى معاوية يقول : رحم الله أبا الحسن .

وقد سبق لك أن عرفت أن معاوية كان يوصي عماله بأن يختتموا خطبهم في المساجد بسب علي وآل بيته والترحم على عثمان والاستغفار له . قال معاوية للغيرة « لا تتحم عن شتم علي وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم وترك الاستماع لهم ويطراء شيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع لهم ، وقد قتل كثيرين ممن رفضوا أن يتبرأوا من علي » .

فإذا من السهل علينا أن ندرك أن هذه القطعة موضوعة ، وقد أخفق واضعها فيما أراد ولم يوفق فيما سعى .

وقد أفرد ابن عبدربه في كتاب العقد الفريد فصلا خاصا للوافدات على معاوية من نساء زعماء الشيعة اللاتي قتل أزواجهن في الحرب ، ومن الوافدات عليه سودة ابنة عمار ، وبكارة الهلالية والزرقاء ، وأم الخير بنت الحريش . وقد روى الشعبي أقوال هؤلاء النسوة مع معاوية ، وفيها مدح لعلي واعتذار لمعاوية وطلب الصفح والعفو . وتنتهي هذه الأقوال بأن يسأل معاوية كلا منهن عن حاجتها ويجزل لهن العطاء ويردهن إلى ديارهن إلا لروى بنت عبد المطلب فإنها لم تسأله شيئا وانصرفت وهي غاضبة ناقمة ، ساخطة على الدهر ما فعل بآل علي . ونحن مضطرون إلى الشك في صحة هذه الأقوال لأنها أتت عن طريق الشعبي وهو شيعي يكره الأمويين وقد خرج عليهم مع عبد الرحمن بن الأشعث

أيام الحجاج وعفا عنه بنو أمية أخيرا ، وبعض الشيعة مشهورون بالكذب والاختلاق . انظر إلى كثير حين يقول في محمد ابن الحنفية :

هو المهندي خبرناه كعب أخو الأخبار في الحقب الخوالى
فلما قيل هل رأيت كعبا . قال : لا ، قيل له فلم قلت خبرناه كعب
قال : بالتوهم .

وفضلا عما تقدم فإن الشعبي كان يشرب الخمر ، ولم يكن متمسكا
بأهداب الدين والفضيلة .

ولعل من أروع ما أتى به صاحب العقد الفريد المناظرة بين المأمون
والعلماء واحتجاجه عليهم في فضل علي . فقد روى أن المأمون جمع
أربعين عالما من المتفقيين في الدين وكان على رأسهم إسحاق بن إبراهيم
ابن إسماعيل بن حماد بن زيد . وبدأ المأمون حديثه معهم بقوله « إن
أمير المؤمنين يدين الله على أن علي بن أبي طالب خير خلفاء الله بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأولى الناس بالخلافة له . » وهذه المناظرة
طويلة وممتعة فليرجع إليها القارىء إن شاء . وهى من غير شك من وضع
أحد دعاة الشيعة . وقد أورد ابن عبد ربه في مكان آخر ما نصه « قال
المأمون لعلى بن موسى : علام تدعون هذا الأمر ، قال : بقراءة علي
وفاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له المأمون : إن لم تكن
إلا القرابة فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته من
هو أقرب إليه من علي أو من هو في قعده . وإن ذهبت إلى قرابة فاطمة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الأمر بعدها للحسن والحسين ،

فقد أبتزهما على حقهما وهما حيان صحيحان فاستولى علي مالا حق له فيه فلم يجد علي بن موسى جواباً .

فالكلام الذي نسب إلى المأمون في فضل علي وإن كان من وضع الشيعة أنفسهم إلا أن الثابت أن المأمون كان يميل إلى العلويين ، وقد عهد بولاية العهد من بعده إلى علي بن موسى الذي سبق ذكره ولكن هذا مات قبل أن يتولى مقاليد الأمور وقد ادعى الشيعة أنه مات مسموما ، وربما كان هذا صحيحا ، فلعل المأمون رأى رأيا ثم بدا له غيره فتخلص من علي بأن دس له السم . والدليل على ذلك أن المأمون أجرى ولاية العهد بعد وفاة علي في العباسيين مع أنه كان قادرا على اختيار شخص آخر من العلويين لو أنه ثبت على رأيه الأول .

الفصل الثاني

خطباء الشيعة

الإمام على

مولده : ولد قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة . وكانت ولادته بمكة بالكعبة . وفي ذلك يقول السيد الحميري :

ولدته في حرم الإله وأمنه والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة طابت وطاب وليدها والمولد
في ليلة غابت نحوس نجومها وبدت مع القمر المنير الأسعد
مالف في خرق القوايل مثله إلا ابن آمنة النبي محمد

ثقافته وتهذيبه : حفظ الإمام على القرآن حفظاً جيداً ووعى الحديث وتفقه في الدين ، وتأثر فصاحة الرسول وبلاغته ، كما وقف على كثير من شعر من سبقه من الشعراء ، فلا عجب أن كان فارساً من فرسان البلاغة ، وعلماً من أعلام البيان . قال الأستاذ محمد حسن نائل المرصفي^(١) « بهذه الخصال الثلاث — يعني جمال الحضارة الجديدة ، وجلال البداوة القديمة ، وبشاشة القرآن الكريم — امتاز الخلفاء الراشدون . ولقد كان المجلي في هذه الحلقة على صلوات الله عليه . وما أحسبني أحتاج في إثبات هذا إلى دليل أكثر من نهج البلاغة ، ذلك الكتاب الذي أقامه

(١) في مقدمة شرحه لنهج البلاغة .

الله حجة واضحة على أن عليا رضى الله عنه قد كان أحسن مثال حي لنور القرآن وحكمته ، وعليه وهدايته ، وإعجازه وفصاحته .
وقد سبق أن ذكرنا أن الخطب التي تنسب إلى علي بن أبي طالب جمعت كلها في كتاب ضخم سمي « نهج البلاغة » . والآن تريد أن تتكلم عن هذا الكتاب الذي هو أثر من أنفس الآثار التي تركها التشيع في الأدب العربي .

نهج البلاغة

كان الكلام الذي ينسب إلى علي مدونا في كثير من الكتب . وقد بقي كذلك حتى جاء الشريف الرضى فحسن له بعض أصدقائه كما قال أن يجمع ما يعزى إلى علي من خطب ومواعظ وحكم ، وما صدر عنه من رسائل . قال في مقدمة النهج : « وسألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوى على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ، ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وآداب ، علما أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ، وثواقب الكلم الدينية والدينية مما لا يوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب ... فأجبتهم إلى الابتداء بذلك ، علما بما فيه من عظيم النفع ، ومشور الذكر ومذخور الأجر » .

ترتيب الكتاب : قال الشريف الرضى « ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة : أولها الخطب والأوامر ، وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ . فأجمعت بتوفيق الله على الابتداء

بإختيار محاسن الخطب ، ثم محاسن الكتب ، ثم محاسن الحكم والآداب ، مفردا لكل صنف من ذلك بابا ، ومفصلا فيه أوراقا لتكون مقدمة لاستدراك ماعساه يشذ عن عاجلا ، ويقع إلى آجلا . وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء حوار ، أو جواب سؤال ، أو غرض آخر من الأغراض في غير الأنحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته إلى ألبق الأبواب به ، وأشدها ملائمة لغرضه . وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة ، ومحاسن غير منتظمة ، لأنى أوردت النكت واللمع ، ولا أقصد التتالى والنسق .

محتوياته : ضم كتاب نهج البلاغة بين دفتيه ٢٤٢ خطبة وكلاما و ٧٨ كتابا ورسالة و ٤٩٨ كلمة من روائع الحكم وجوامع الكلم .
شروحه : شروح هذا الكتاب تليف على الحسين . والمعروف منها الآن لدى الناس :

١ — شرح ابن أبى الحديد . وهو عبد الحميد بن هبة الله الجبائى المشهور بابن أبى الحديد . ولد عام ٥٨٦ هـ وتوفى عام ٦٥٦ هـ أهدها إلى الوزير ابن العلقمى رئيس الشيعة ببغداد في ذلك الوقت ، وفي أيام هذا الوزير زالت الخلافة العباسية من الوجود . وابن أبى الحديد وإن ادعى أنه معتزلى إلا أنى أشك في هذا الإدعاء وأعتقد أنه كان شيعيا متعصبا . وقد طبع هذا الشرح بمصر عام ١٣٢٩ بمطبعة الحلبي . وهو أشهر الشروح التي ظهرت لهذا الكتاب .

٢ — شرح كمال الدين بن ميثم النجرائى . وهو من علماء القرن

السابع الهجرى . قضى شطرا من حياته ببغداد ، وقد جاء فى مقدمة شرحه « جعلت هذا الكتاب ، بعد كتاب الله وكلام رسوله ، مصباحا أستضى به فى الظلمات ، وسلما أعرج به إلى طبقات السموات » وقد فرغ منه فى رمضان من عام ٦٧٧ هـ . وطبع ببلاد فارس سنة ١٢٧٤ هـ ويقع فى نحو أربعائة صفحة من الحجم الكبير .

٣ — شرح ميرزا حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمى العلوى الموسوى الأذربجائى . وهو من علماء إيران . كان حيا فى عام ١٣٠٣ هـ . وقد أهدى شرحه إلى شاه إيران مظفر الدين خان . وهذا الشرح ضخيم جدا فى أربعة أجزاء من الحجم الكبير يتألف كل جزء من أربعائة صفحة . طبع ببلاد فارس عام ١٣٥١ هـ وأطلق عليه اسم « منهاج البراعة وشرع الفصاحة » .

٤ — شرح الشيخ محمد عبده وهو لا يقاس بالنسبة لغيره من الشروح إذ اقتصر فيه صاحبه على إيضاح الصعب من المفردات .

لقد اهتم أدباء الشيعة بشرح هذا الكتاب اهتماما كبيرا ، وبأنفوا فى الإسهاب والتطويل ، وملتوا شروحهم بالخرافات والخزعبلات التى تضحك الشكلى .

منزله : « ورد فى مقدمة شرح حبيب الله لكتاب نهج البلاغة مائتة هو كتاب فى الاتقان تلو الفرقان ، لكونه مواعظ أمير المؤمنين عليه السلام ، وكلماته المشهورة على لسان المسلمين ، المشتمة على اثبات

الصانع ، وإظهار البدايع ، والتوحيد بالبرهان القاطع ، والبيان النافع والحكمة والموعظة الحسنة ، والقصص والأمثال .

وقال محمد حسن تاييل المرصفي : «اجتمع لعل (ع) في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء ، وأفذاذ الفلاسفة ، ونوابغ الربانيين من آيات الحكمة السامية ، وقواعد السياسة المستقيمة ، ومن كل موعظة ياهرة ، وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر . خاض على في هذا الكتاب لجنة العلم والسياسة والدين ، فكان في كل هذه المسائل نابغة مبرزاً . ولئن سألت عن مكان كتابه من الأدب بعد أن عرفت مكانه من العلم ، فليس في وسع الكاتب المسترسل ، والخطيب المصقع ، والشاعر المفلق أن يبلغ الغاية في وصفه ، والنهاية في تقريره » .

وقال محمد عبده « تأملت جملاً من عباراته من مواضع مختلفات ، وموضوعات متفرقات . فكان يخيل لي في كل مقام أن حروبا شبت ، وغارات شنت . وأن للبلاغة دولة ، ولل فصاحة صولة ، وأن للأوهام عرامة ، وللريب دعارة ، وأن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة ، في عقود النظام ، وصفوف الانتظام تنافح بالصفينح الأبلج ، وألقويم الأملج وتمتلج المهج بروائع الحجج ، فتفل من دعارة الوسائوس ، وتصيب مقاتل الخوانس ، فما أنا إلا والحق منتصر ، والباطل منكسر ومرج الشك في خمود ، وهرج الريب في ركود . وأن مدير تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين على ابن أبي طالب .

« بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع . أحس بتغير المشاهد

وتحول المعاهد . فتارة كنت أجدنى فى عالم يعمره من المعانى أرواح
عالية ، فى حلل من العبارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية ،
وتدنو من القلوب الصافية توحى إليها رشادها ، وتقوم منها مرادها ،
وتنفر بها عن مداحض النزال إلى جواد الفضل والكمال . وطورا كانت
تنكشف إلى الجمل عن وجوه باسرة ، وأنياب كاشرة ، وأرواح فى أشباح
النور ومخالب الدسور ، قد تحفرت للوثاب ثم انقضت للاختلاب ،
نخلبت القلوب عن هواها ، وأخذت الخواطر دون مرماها . واغتالت
فاسد الأهواء ، وباطل الآراء .

أما بعد ، فقد أتيت هنا بأقوال ثلاثة رجال فى كتاب نهج البلاغة
وهى قطع مديح القى بغير حساب ظنا من كاتبها أنهم يظفرون برضا الله
ورسوله إن هم أزجوا هذا المديح . ولم يحاول أحد منهم أن يتناول النهج
تناولا علميا يعود على القارىء بالنفع .

بحث وتحقيق : وقد رأيت لزاما على فى هذا المقام أن أتناول نهج
البلاغة بالبحث والتحقيق سالكا فى ذلك سبيل العلماء الذين يفيدون
القراء بما يقدمون لهم من حقائق ناطقة . أما هؤلاء الذين لا هم لهم إلا
إرسال المدح والثناء فمهمتهم هيئة لينة ، فما أيسر أن تقول « هو كتاب فى
الاتقان تلو الفرقان » ، وما أسهل أن تنمق فى مدحه الألفاظ كما نمقها
الشيخان حسن نايل المرصنى ومحمد عبده . ولكن هذا لا يفيد القارىء
فى كثير أو قليل . وبما أنى لم أخرج هذا الكتاب لأمدح فيه أو أقدح .

بل حرصت فيه كما يرى القارىء على إظهار الحقائق وإبرازها ، لذلك لم أسر في الطريق التي سار فيها هؤلاء المادحون .

صاحب النهج : في كتاب نهج البلاغة أمور كثيرة تجعلنا نشك في نسبة أكثر ما فيه إلى الإمام على . وهذا رأى سبقنا إليه القدماء . قال ابن أبي الحديد « كثير من أرباب الهوى يقولون إن كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة . وربما عزوا بعضه إلى الرضى أبي الحسين وغيره » .

غير أن القدماء لم يشرحوا لنا أسباب الشك . أجل ! لقد أبدوا ارتياهم ثم صمتوا . وقد رأيت لزاما على أن أتناول أسباب الشك في نسبة ما في النهج إلى عليّ بشيء من التفصيل .

أسباب الشك :

(أولا) سبق أن ذكرنا أن نهج البلاغة قد ضم بين دفتيه ٢٤٢ خطبة وكلاماً ، ٧٨ كتاباً ورسالة ، ٤٩٨ حكمة . وهذا العدد الهائل لم يدون إلا في العصر العباسي . وليس من شك في أن حفظ هذا المقدار الضخم من الأمور المتعذرة . ومن هذه الخطب ما هو طويل جدا وليس من السهل وعيه وتذكر ألفاظه بعد أجيال . فقد بلغ عهد عليّ للأشتر النخعي مائتين وخمسين سطرا . وبلغت بعض خطبه مائتي سطر ، وبعضها ينقص قليلا عن المائتين . وإذا علمنا أن القرآن على عظيم خطره ، وجليل

شأنه كان مظنة أن يضيع لولم يتداركه المسلمون الأولون ، رأينا أنفسنا مسوقين إلى النظر بعين الارتياب فيما جاء منسوباً إلى علي في هذا الكتاب . وما الداعي إلى كتابة مثل هذا العهد المفرط في الطول ولم يكن الاشتهار غريباً عن علي بل كان من أقرب الناس إليه . ولم يسبق أن كتب أحد من الخلفاء عهداً في مثل هذا الطول ؟ ؟

(ثانياً) إذا ألقيت نظرة على الخطب المنسوبة لعلي لم تمالك نفسك من الضحك ، وذلك لما جاء في كثير منها من أمور وقعت بعد عصر علي كقيام الدولة الأموية ، وسقوطها والقضاء على الأمويين قضاء مبرماً بغير رحمة ولا شفقة ، وقيام دولة بني البعاس ، وظهور الفتن والقلاقل وانتشار الحروب والثورات ، وترك الناس للدين وانغماسهم في الترف والنعيم . وقد سبق لنا أن أوردنا مثلاً لذلك عند الكلام على « انتحال القول ، ولا نرى بأساً من أن نورد للقارئ مثلاً آخر ليزداد إيماناً على إيمان إن لم يكن قد اطلع على النهج . فما ينسب إليه قوله « فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها »^(١) وقائدها ، وسائقها ومناخ ركبها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلاً ، ويموت منهم موتاً ،

ألا إن أخوفَ الفتن عندى عليكم فتنة بني أمية ، فإنها فتنة عمياء مظلمة ، عمت خطتها وخصت بليتها ، وأصاب البلاء من أبصر فيها ، وأخطأ البلاء من عمى عنها . وإيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباباً سوءً بعدى كالناب الضروس تعذبُ بفيها ، وتخبطُ بيدها ، وتزبنُ برجلها

وتمنعُ درَّها . لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائرٍ بهم . ولا يزالُ بلاؤُهُم حتى لا يكونَ انتصارُ أحدكم منهم إلا كانتصارِ العبد من ربِّه ، والصاحب من مُستصحبِهِ . تردُّ عليكم فتنتُهُم شوهاً ، مخشيةً ، وقطعاً جاهليةً ، ليس فيها منارٌ هُدى ، ولا علم يُرى ، نحن أهل البيت فيها بمنجاةٍ ، ولسنا فيها بدعاة . ثم يفرجُها الله عنكم كتفريج الأديم . بمن يسومُهم خسفاً ، ويسوقُهم عُنفاً ، ويسقيهم بكأسٍ مُصبرةً ، لا يعطيهم إلا السيف ، ولا يجاسُهم إلا الخوف . فعند ذلك تودُّ قريشٌ بالدنيا وما فيها لو يروني مقاماً واحداً ، ولو قد رَجَزَ رَجُوزٍ لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يُعطونني . .

وأنت واجد خطبا كثيرة من هذا النوع . وهي من غير شك موضوعة ومحمولة على الإمام عليّ الذي لم يكن علام الغيوب . فهل هذه الخطب بلغت من الإتقان ما يجعلها تلو الفرقان ؟؟ وهل ترى فيها ما رآه محمد عبده حين يقول « وأن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة في عقود النظام ، وصفوف الانتظام تنافح بالصفيح الأبلج ، والقويم الأملج وتمتلج المهج بروائع الحجج ، فأين هو القويم الأملج ؟؟ وأين هي روائع الحجج ؟؟

(ثالثاً) وأمر ثالث يجعلك تزداد شكاً وارتياباً وهو أن كثيراً من الخطب اشتمل على علوم لم تعرف في المجتمع الإسلامي إلا بعد عصر عليّ بزمان طويل ، كدقائق علم التوحيد ، وأبحاث الرؤية والعدل ، والتوسع في كيفية كلام الخالق وابتعاده عن صفات الجسم وكيفيةاته ، وتنزهه عن مجانسة مخلوقاته ، كما تناولت موضوعات وصفية لم يطرُقها

يسلبون إلا في عصور متأخرة كوصف الغلة والخفاش والطاووس .
ومثال ذلك قوله من خطبة يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق
آدم « الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصى نعماء العادون ،
ولا يؤدي حقه المجتهدون . الذي لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص
الفتن . الذي ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود : ولا وقت
معدود ، ولا أجل ممدود . فطر الخلائق بقدرته ، ونشر الرياح برحمته ،
ووتد بالصخور ميدان أرضه . أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق
به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له وكمال
الإخلاص له ، نفي^(١) الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ،
وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه وتعالى فقد
قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد جهله ومن
جهله فقد أشار إليه ومن أشار إليه فقد حده ، ومن حده فقد عده . ومن
قال فيم فقد ضمنه ، ومن قال علام فقد أخلى منه . كائن لا عن حدث ،
موجود لا عن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة .
فاعل لا بمعنى الحركات والآلة ... الخ .

وفي هذه الخطبة اصطلاحات لم تعرف في عصر الإمام علي ، بل
عرفت بعده بقرون ، كما أن التعبيرات التي انطوت عليها هذه الخطبة لم تظهر
إلا على أيدي علماء الكلام في العصر العباسي . وعلاوة على ما تقدم فإنها
رتبت ترتيبا منطقيا يبدأ بمقدمة تنتهي إلى نتيجة هي نفي الصفات عن الله ،
وهذا أمر كان موضع خلاف شديد بين الفرق الإسلامية ولم يعرف إلا
في أيام العباسيين . فهي بلا ريب موضوعة على الإمام علي ، وهي ليست

(١) هذا كلام أرسطو الذي لم يعرف إلا بعد عصر الترجمة .

فى الإتقان تلو الفرقان ، ولا أجد فيها ما وجده محمد عبده من الصفيح الأبلج والقويم الأملج الذى يمتلج المهج بروائع الحجج .

(رابعا) وأمر رابع يجعلك تمنع فى الشك وتسرف فى الارتياب وهو أنك تجد فى خطب كثيرة روحا غريبا عن الإسلام ، فيها تناقض مع أحكام الدين الحنيف وأصوله ، وفيها روح ضار جدا بالمجتمع الإسلامى والحضارة الإسلامية . ترى فيها دعوة إلى الرهينة وترك ما أحل الله من الطيبات فى هذه الحياة الدنيا . ومثال ذلك قوله يخاطب شخصا يسمى «نوبا» طوبى للزاهدين فى الدنيا والراغبين فى الآخرة . أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا ، وتراها فراشا ، وماءها طيبا ، والكتاب شعارا ، والدعاء دثارا ، وقرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح بن مريم . فإن الله عز وجل أوحى إلى عبده المسيح بن مريم أن مر بنى اسرائيل ألا يدخلوا بيتا من بيوتى إلا بقلوب طاهرة ، وأبصار خاشعة ، وأيد نقية . فإنى لا أستجيب لأحد منهم دعوة لأحد من خلقى قبله مظلمة . يأنوف لا تكونن شاعرا ولا عشارا^(١) ولا شرطيا ولا عريفا^(٢) ولا صاحب كوبة^(٣) ولا صاحب عرطة^(٤) ،

وليس من المعقول أن يصدر مثل هذا القول من على . وكيف ينهى الناس عن أن يكونوا شعراء ، وهو نفسه كان شاعرا ونسب إليه ديوان مشهور بين الناس ؟؟ كيف ينهى الناس عن أن يكونوا شعراء والإسلام أباح لهم ذلك ، والنبي كان ممن يطربون للشعر ويحرضون

(١) الذى يجمع العشور .

(٢) منصب دون الرئيس .

(٣) الكوبة الطبل .

(٤) عرطة : العود وهو من آلات الطرب .

على قوله ؟؟ وكيف ينهى على الناس عن أن يكونوا عشارين أو من رجال الشرطة ؟؟ ومن يجمع أموال الدولة ومن يسهر على حفظ الأمن والنظام فيها ؟؟ وفي هذه الخطبة تحريص على قرض الدنيا على منهاج المسيح بن مريم . وما شأن المسلمين بمناهج المسيح ولهم من سنة رسولهم خير مرشد وأفضل دليل .

لا شك في أن نسبة مثل هذه الخطبة للإمام على تحط من شأنه ، وتضع من منزلته . ونحن نبجل الإمام عليا وننزهه عن قول مثل هذه الخطب التي لا أرى أنها في الإتيقان تلو الفرقان . ولا أرى فيها ما رآه محمد عبده من الصفيح الأبلج والقويم الأملج الذي يمتلج المهج بزوائج الحجج .

(خامسا) وأمر خامس يجعلك تجزم بأن جل ما في النهج ليس لعلّ وهو الاختلاف العظيم في أساليب الخطب . ترى كلاما مرسلا على سجيته بغير تكلف ولا تصنع ومثال ذلك قوله من إحدى خطبه « أنبئت بسرا قد اطلع اليمن ، ولاني والله لأظن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ، وبمعصيتكم إمامكم في الحق ، وطاعتهم إمامهم في الباطل . . . الخ » .

على حين أنك ترى له نوعا آخر من الخطب يظهر فيه آثار الصنعة والتكلف المرذول ، والحرص الشديد على السجع وغير ذلك مما لم تعرفه العرب في عصر على ، بل عرف في عصور متأخرة جدا ومثال ذلك ما ينسب إليه « الحمد لله المعروف من غير رؤية ، والخالق من غير رؤية » الذي لم يزل دائما قائما إذ لا سماء ذات أبراج ،

ولا حجب ذات أرتاج ، ولا ليل داج ، ولا بحر ساج ، ولا جبل
ذو فجاج ، ولا فج ذو إعوجاج ، ولا أرض ذات مهاد ، ولا خلق
ذو اعتماد .

وقوله في وصف السماء « ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحم
صدوع انفراجها ، ووشج بينها وبين أزواجها ، وذال للهابطين
بأمره ، والصاعدين بأعمال خلقه حزوة معراجها ، ناداها بعد إذ هي
دخان فالتحمت عرى أشراجها . »

وانظر إلى الحرص على الجناس في قوله « أرسله لإنفاذ أمره ،
وإنهاء عذره ، وتقديم نذره ، وأحصاءكم عددا ، ووظف لكم مددا ،
في قرار خبرة ، ودار عبرة . غرور حائل ، وضوء آفل ، وظل زائل ،
وسناد مائل . »

ثم تأمل قوله « فن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها
واحلوت له الأمور بعد مرارتها ، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها ،
وأسهلت له الصعاب بعد انصبابها ، وهطلت عليه الكرامة بعد
قحوطها وتحذبت عليه الرحمة بعد نفورها ، وتفجرت عليه النعمة بعد
نضوبها ، ووبلت عليه البركة بعد رذاذها . » ترى فقرا متساوية في
عدد كلماتها وفي التزام كلمة « بعد » في كل منها واشتمال كل فقرة على
طباق ، فضلا عن أنها تدور كلها حول معنى واحد . فالآثار الأدبية
التي وصلت إلينا من عصر علي تختلف عن هذا النمط المتكلف اختلافا
كبيرا وتبتعد عنه ابتعادا ظاهرا . وهذا شيء يرغمنا على رفض نسبة

تلك الخطب إلى الإمام على ، وهي ليست تلو الفرقان في الإتيان ، ولا أرى فيها ما رآه محمد عبده من الصفيح الأبلج ، والقويم الأملج الذي يمتلج المهج بروائع الحجج .

(سادسا) وأمر سادس يدفعك إلى رفض كثير مما ينسب لعليّ ، وهو أنك ترى خطبا كثيرة فيها وصف للحياة الاجتماعية على نحو لم يعرف إلا في عصور متأخرة . ترى في هذه الخطب طعنا على الوزراء والأمراء والحكام والولاة والعلماء والقضاة ، طعنا شديدا في السلوك والأخلاق وفي الذمم والضمائر ، ووصفا للقضاة بالجهل وعدم المعرفة بأحكام الشريعة . ومثال ذلك ما ينسب إليه « إنَّ أبغضَ الخلائقِ إلى اللهِ رجلانِ : رجلٌ وَكَّلَهُ اللهُ إلى نفسه ، فهو جائرٌ عن قصدِ السَّيْلِ ، مَشْغُوفٌ بكلامِ بدعةٍ ، ودُعَاءِ ضلالةٍ . فهو فِتْنَةٌ لمن اقْتَنَى به ، ضالٌّ عن هُدًى مَنْ كان قبله ، مُضِلٌّ لمن اقْتَدَى به في حياته وبعد وفاته ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ . وَرجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا ، مُوضِعٌ في جُهَالِ الأُمَّةِ ، عادٍ في أَغْبَاشِ الفِتْنَةِ ، عَمٍ بما في عَقْدِ الهُدَى . قد سَمَّاهُ أَشْبَاهُ الناسِ عَالِمًا وليس به . بَكَرٌ فَاسْتَكْبَرَ مَنْ جَمَعَ ما قَلَّ منه خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ ، حتَّى إذا ارْتَوَى من آجِنٍ واكْتَنَزَ من غَيْرِ طَائِلٍ ، جَلَسَ بَيْنَ الناسِ قاضِيًا ضامِنًا لِتَخْلِيصِ ما التَبَسَ على غَيْرِهِ . فإنْ نَزَلَتْ به إحدى المُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لها حَشْوًا رَثًا مِنْ رَأْيِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ به . فهو من لُبْسِ الشُّبُهَاتِ في مثل نَسَجِ العَنْكَبُوتِ لا يَدْرِي أَصَابَ أمْ أَخْطَأَ . فإنْ أَصَابَ خَافَ أن يكونَ قد أَخْطَأَ ، وإنْ أَخْطَأَ رَجَا أن يكونَ قد

أَصَابَ ، جَاهِلٌ خَبَّاطٌ جَهَالَاتٍ ، عَاشَ رَكَّابٌ عَشَوَاتٍ ، لَمْ يَعْصَ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ ، يُذَرِّى الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ ، لَا مَلِيٌّ وَاللَّهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوضَ إِلَيْهِ . لَا يَحْسِبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ وَلَا يَرَى أَنَّ مَنْ وَرَاءَ مَا بَلَغَ مَذْهَبًا لغيره . وَإِنْ أَظْلَمَ أَمْرًا كَتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ . تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءُ وَتَعُجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ . إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جَهَالًا وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا ، لَيْسَ فِيهِمْ سَلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُتْلَى حَقُّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا سَلْعَةٌ أَنْفَقَ يَبْعَا وَلَا أَغْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ .

وَمَا يَنْسَبُ إِلَيْهِ وَفِيهِ وَصَفٌ لِحَالَةِ الْفَوْضَى الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الْقَضَاءُ وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَعْرِفْ إِلَّا فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ « تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حَكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ، ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بَعِينَهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيَصُوبُ آرَاءُهُمْ جَمِيعًا . وَاللَّهُمُّ وَاحِدٌ ، وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ . وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ . أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْاِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ ؟ أَمْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى . . . الخ » فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَضَاءَ فِي أَيَّامٍ عَلَى كَانُوا مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أُمَّةٌ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِمْ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ . وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ آجَنٌ يَرْتَوُونَ مِنْهُ ، بَلْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ سِوَى الْقُرْآنِ ، وَلَمْ يَظْهَرْ هَذَا الْاِخْتِلَافُ الْعَظِيمُ الَّذِي نَرَى صُورَتَهُ فِي هَذِهِ الْخُطْبِ ، قَطَعْتَ بِأَنَّهَا مِنْ وَضْعِ قَوْمٍ عَاشُوا بَعْدَ عَلَى بَزْمٍ

طويل ، وكتبوا ما كتبوا ثم نسبوه إلى على اعتقاداً منهم بأن فيها ما يرفع شأنه ويسمو بمنزلته . وهى من غير شك ليست فى الإتيان تلو الفرقان . ولم أجد فيها ما وجدته محمد عبده من الصفيح الأبلج والقويم الأملج الذى يمتلج المهج بروائع الحجج .

(سابعاً) وأمر سابع يسلمك إلى الرية فى هذا الكتاب . ترى فيه خطباً كثيرة تروى أموراً لا يقبلها العقل من شأنها لو صحت أن تؤيد حق على فى الخلافة . ومثال ذلك ما يلعب إليه : « ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله ، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة ، فقال هذا الشيطان أيس من عبادته . إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ، ولكنك وزير ، وإنك لعللى خير ، .

وقوله : « ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإن رأسه لعللى صدرى . ولقد سألت نفسه فى كفى فأمررتها على وجهى ، ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعوانى فضجت الدار والأفنية ملاً يهبط وملاً يعرج ، وما فارقت سمعى هينة منهم يصلون عليه ، حتى واريناه فى ضريحه ، فمن ذا أحق به حياً وميتاً . »

وأظن أن القارىء سيضحك معى حينما يقرأ « إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير ، وإنك لعللى خير ، . ومعنى هذا أن علياً كان يسمع الوحي كما يسمعه الرسول ويراه كما يراه الرسول لكنه ليس بنبي وإنما هو وزير ، ولا أدري ما وظيفة الوزير هنا وما عمله ؟ . ولا شك فى أنك ستغرق فى الضحك حينما تقرأ « ولقد

وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعوانى فضجت الدار والأفنية ،
ملاً يهبط وملاً يعرج ، ، فالملائكة هنا قد نزلوا من السماء أفواجا
يساعدون الإمام علياً في مهمته وهى غسل رسول الله . ولا جدال فى
أن علياً أعقل بكثير من أن يرسل مثل هذا القول . وليس فى نسبته
إليه ما يشرفه . وكيف يقال بعدئذ إن نهج البلاغة فى الاتقان تلو الفرقان ؟
وهل فى مثل هذا رأى محمد عبده الصفيح الأبلج والقويم الأملج يمتلج
المهج بروائع الحجج ؟ .

(ثامناً) وأمر ثامن يجعلك ترتاب فيما جاء بنهج البلاغة منسوبا
إلى الإمام عليّ . وهو أنك تجد خطبا طال فى صدرها حمد الله ، وهذه
عادة لم تعرف إلا فى العصر العباسى فى خطب الجمع والأعياد التى تلقى
فى المساجد ، ولم تظهر قط فى أيام عليّ . ومثال ذلك « الحمد لله كلما وقب
ليل وغسق ، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق ، والحمد لله غير مفقود الإناعام
ولا مكافئ الإفضال ، وغير هذا كثير .

(تاسعا) وأمر تاسع يريك فيما ورد منسوبا لعليّ فى نهج البلاغة
وهو أنك تجد خطبا فيها ذكر الوصى والوصاية ، مع أن علياً لم يقل هذا
قط ولم تظهر خرافة الوصى إلا بعد مقتله . ومثال ذلك قوله وقد عني
آل البيت « هم أساس الدين ، وعماد اليقين ، إليهم ينوء الغالى ، وبهم
يلحق التنالى ، ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة » ،
وقوله « ومالى لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها فى
دينها . لا يقتضون أثر نبي ولا يقتصدون بعمل وصى » ، فهل كانت فى
عصره تلك الفرق التى يشير إليها ؟ أم أنها ظهرت بعده بزمان غير قصير ؟ -

(عاشرا) وأمر عاشر يقودك إلى الريية في نسبة ما جاء في النهج إلى علي ، وهو أنك تجد خطبا فيها معنى واحد عبر عنه بما يزيد على عشر جمل ومثال ذلك قوله : « لا انفصام لعروته ، ولا فك لحلقته ، ولا انهدام لأساسه ، ولا زوال لدعائمه ، ولا انقلاع لشجرته ، ولا انقطاع لمدته ، ولا عفاء لشرائعه ، ولا جذ لفروعه ، ولا ضنك لطرقه ، ولا سواد لوضحه ، ولا عوج لا تنصابه ، ولا عصل ^(١) في عوده ، ولا وعث لفجحه ، ولا انطفاء لمصاييحه ، ولا مرارة لحلاوته ، فهذا إسهاب ممل وإسفاف لا فائدة منه ولا خير فيه ، وهو مما لم يعرفه المسلمون الأولون .

في الميزان : أما بعد ، فقد وضعنا نهج البلاغة أمامك في الميزان ، وأطلعناك على ما يشككنا في نسبة أكثر ما جاء فيه إلى علي ، وضررنا للناس الأمثال لعلهم يقتنعون . وهناك خطب قليلة باقية فيها روح على ولكنها لم تسلم من التحريف والتصحيف والتقديم والتأخير والزيادة والنقصان ، وذلك أمر طبيعي في كل ما تأخر تدوينه من الخطب والرسائل وإنك تجد هذه الخطب القليلة رويت بروايات فيها اختلاف كبير .

أما الأمثال والحكم فمعظمها هندي وفارسي عرفه العرب بعد عصر الترجمة . ولا أدري كيف نسبوها إلى علي ؟ .

خطباء آخرون

كان أئمة الشيعة ينشرون دعوتهم بين الناس سرا، فلم يجدوا أمامهم مجالا للقول فيقولوا، ولا محلا للخطابة فيخطبوا . ولم يظهر بعد على من الخطباء سوى الحسن والحسين . وجل ما ينسب إليهما موضوع - وليت شعري من الذي روى خطبة الحسين في كربلاء وقد استشهد كل من معه من الرجال ، ٩٩ .

ولفاطمة خطب تنسب إليها وقد روى عنها كثيرا من الأحاديث ، وعلى بن الحسين رسالة تعرف برسالة الحقوق . وعلى الجملة فقد اجتهد أدباء الشيعة في وضع الخطب والرسائل وجمع الحكم والأمثال والأدعية ونسبتها لأئمتهم .

الباب الثالث

الفصل الأول

في الشعر

اتتحال الشعر

نشط أدباء الشيعة نشاطا عظيما في وضع الشعر الذي يرفع من شأنهم ويقوى من دعائم مذهبهم . ويحط من شأن أعدائهم . وأجروا هذا الشعر على السنة أئمتهم وعلى السنة قوم آخرين . وقد كثر ذلك الشعر حتى شغل مكانا بيننا في الأدب العربي . وكانوا أحيانا يزيدون في قصائد بعض الشعراء ما يؤيد رأيهم ويدعم حججهم في الخلافة وحق علي فيها . وقد ظهر هذا الاتتحال في مظاهر مختلفة .

(١) شعر أبي طالب

لقد وضعوا كثيرا من القصائد ونسبوها إلى أبي طالب ليثبوا بذلك إسلامه ، وحسن بلائه في الدين ودفاعه عن النبي وحمايته له ، وجهاده في سبيل الإسلام ، فما ينسب إليه قوله :
ولما رأيتُ القَوْمَ لا وُدَّ فيهم وقد قَطَّعُوا كلَّ العُرَى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طَاوَعُوا أمرَ العدوِّ المزايلِ

ومنها :

كَذَّبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ تُبْزَى مُحَمَّدًا ولما نطاعنُ دونهُ وتناضلِ
ونسلمه حتى نُصرَّع حوله ونذهلَ عن أبنائنا والحلائلِ
وينهضَ قومٌ بالحديدِ إليكمُ
نهوضَ الرّوايا^(١) تحتَ ذاتِ الصّلاصلِ^(٢)

ومنها :

وأبيض^(٣) يُستسقى الغمامُ بوجهِهِ ثمال^(٤) اليتامى عصمةً للأراملِ
يلوذُبه الهلاكُ^(٥) من آلِ هاشمٍ فهمُ عنده في رَحمةٍ وفواضِلِ
ونحنُ الصّميمُ من ذُؤابةِ هاشمٍ وآلِ قُصَيٍّ في الخطوبِ الأوائلِ
وسهمٍ ومخزومٍ تمالأوا فألبوا عَلَيْنَا العِدا من كلِّ طَمَلٍ وخاملِ
فعبدةُ منافٍ أنتمُ خيرُ قومٍكم فلا تُشركُوا في أمرِكم كلَّ واغلِ

وهي طويلة أورد منها ابن هشام أربعة وتسعين بيتاً ثم قال : « هذا ما صح لي من هذه القصيدة . وبعض أهل العلم بالشعر يتكرأكثرها » .

ومثال آخر مما ينسب إلى أبي طالب .

واللهِ لن يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حتى أَوْسَدَ في الترابِ دَفِينَا
فاصدعْ بأمرِكَ ما عليكَ غَضاضَةٌ وأنشُرْ بِذَاكَ وَقَرَّ مِنْكَ عُيُونَا

(١) جمع راوية وهو البعير أو البغل .

(٢) وذات الصلاصل هي المزايدة التي ينقل فيها الماء ، والصلاصل جمع صلصلة بضم

الصادين وهي بقية الماء في الاداوة .

(٥) الفقراء والصعاليك .

(٤) العماد .

(٣) كريم .

وَدَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلُ أَمِينًا
وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَرَفْتُ بِأَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْلَا الْخَافَةُ أَنْ يَكُونَ مَعَرَّةً لَوَجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ أَمِينًا
فَفِي هَذَا الشَّعْرِ تَكْلُفٌ ظَاهِرٌ وَتَصْنَعٌ وَاضِحٌ . تَرَى فِيهِ أَبَا طَالِبٍ
يُظْهِرُ اسْتِعْدَادَهُ لِلْمَوْتِ فِي سَبِيلِ الرَّسُولِ وَيَأْمُرُهُ بِالِاسْتِمْرَارِ فِي نَشْرِ
الدِّينِ فِي غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا وَجَلٍ وَيُعْتَرِفُ لَهُ بِالْصَّدَقِ فِي دَعْوَاهُ وَيَقْرَأُ بِأَنَّ
الْإِسْلَامَ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا . هُوَ يَعْتَرِفُ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَيُؤْمِنُ بِهِ
وَلَكِنَّهُ لَا يَعْتَنِقُ الْإِسْلَامَ خَشْيَةَ الْعَارِ . وَأَيُّ عَارٍ هَذَا الَّذِي خَشِيَهِ
أَبُو طَالِبٍ وَلَمْ يَخْشَهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَحِزَّةٌ وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ مِنْ
عُظَمَاءِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِ قُرَيْشٍ . لَوْ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ آمَنَ حَقًّا كَمَا يَظْهَرُ مِنْ هَذَا
الشَّعْرِ ، لَجَاهَرَ بِذَلِكَ وَلَاعْلَنَ إِسْلَامَهُ كَمَا أَعْلَنَهُ غَيْرُهُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ .
وَكَيْفَ يَخْشَى الْمُؤْمِنُ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يَخْشَاهُ ؟ ؟

(٢) شَعْرُ عَلِيٍّ

وَنَظَّمُوا شَعْرًا كَثِيرًا وَنَسَبُوهُ إِلَى الْإِمَامِ عَلِيٍّ . وَمِثَالُ ذَلِكَ مَا رَوَى
مَنْ أَنَّ مَعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ رِسَالَةً جَاءَ فِيهَا .
إِنَّ^(١) لِي فَضَائِلَ كَثِيرَةً ، كَانَ أَبِي سَيِّدًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَصَرْتُ مَلِكًا
فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَنَا صَهْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَالَ الْمُؤْمِنِينَ
وَكَاتِبَ الْوَحْيِ . فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَبِالْفَضَائِلِ تَفْتَخِرُ
عَلِيَّ بْنَ أَبِي تَالِبٍ آكَلَةَ الْإِكْبَادِ ؟ أَكْتُبُ إِلَيْهِ يَا غَلَامُ .

محمدُ النبيُّ أخِي وصهرِي وحمةُ سيّدُ الشهداء عُمِي
وجعفرُ الذي يُضجِي ويُمسِي يَطِيرُ مع الملائكةِ ابنُ أُمِّي
وبنتُ محمدٍ سَكَنِي وعَرَسِي مشوبٌ لحمُها بدمِي ولحمِي
وسبطا أحمدٍ ولدَايَ منها فأَيُّكُمْ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي
سَبَقْتُكُمْ إلى الإسلامِ طَرَا صغيرا ما بَلَغْتُ أَوَانَ حُلُمِي
وأوصاني النبيُّ على اختيارِ بِبَيْعَتِهِ غَدَاةَ غَدِيرِ خُمِّ
فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيلٌ ثُمَّ وَيلٌ لِمَن يَلْقَى الإلهَ غَدَاً بِظُلْمِ
قال (١) أبو عثمان المازني : لم يصح عندنا أن علي بن أبي طالب عليه
السلام تكلم من الشعر بشيء غير هذين البيتين :

تلكم قريشٌ تَمْنَانِي لَتَقْتُلَنِي ولا وَجَدَكُمَا بَرَوَا وما ظَفِرُوا
فإن هَلَكْتُ فَرَهْنٌ ذَمَّتْ لَهُمُ بذاتِ رَوَقَيْنِ (٢) لا يَعْفُو لَهَا أَثَرُ
وحكى عن يونس النحوى أنه قال : ما صح عندنا ولا بلغنا أنه قال
شعرا إلا هذين البيتين . ولكن صاحب الأغاني (٣) ذكر في ترجمة حسان
ابن ثابت ما يفيد أن عليا كان يقول الشعر . قال « كان يهجو رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهط من قريش : عبد الله بن الزبعرى ،
وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص . فقال قائل
لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه : اهج عنا القوم الذين قد هجونا ،
فقال علي رضي الله عنه : إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) معجم الأدباء ج ١٤ ص ٢٦ - (٢) يقال داهية ذات روقين أو ذات ودقين
إذا كانت عظيمة (٣) الأغاني ج ٤ ص ١٣٧

فعلت ، فقال رجل : يا رسول الله ، أئذن لعلّي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا . قال « ليس هناك » أو « ليس عنده ذلك » .
وأقول ربما كان علي يقول البيت أو البيتين من حين إلى حين ، ولكنه لم يكن كفوا للوقوف أمام شعراء المشركين . وإن الذي سأل عليا هجاء المشركين كان يجهل مكانة علي في الشعر وظنه قادرا على الرد على المشركين . ونرى عليا يقول لمن سأله : إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت . فكأنه كان واثقا من أن الرسول لن يأذن له بذلك وقد تحقق ظنه ، فقال النبي عنه « ليس عنده ذلك » .
وعلى كل ، فمن المحقق أن الشعر الذي وصلنا منسوباً لعلّي ليس له ، وإنما هو من وضع نفر من أدباء الشيعة ، وجل شعره الذي ينسب إليه ، ضعيف الأسلوب والتركيب ، واهى النسيج والتأليف ، يدرك المرء لأول وهلة أنه وضع في عصور متأخرة . فالفرق عظيم بين أسلوب هذا هذا الشعر ، وأسلوب الشعر في أيام علي بن أبي طالب . ولو أنك تأملت في هذه القصيدة التي مرت بك لأيقنت أنها ليست لعلّي لا سيما البيتين الأخيرين منها . فعليّ يقول إن النبي اختاره وصيا على المسلمين من بعده . ولو أن الأمر كان كما قال لسلم له المسلمون بالخلافة ، ولما نازعه فيها أحد . ولكن قصة غدير خم خرافة اختلقها الشيعة بعد عصر علي وأسندوها إلى ابن عباس . « قالوا : روى ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن آية « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » نزلت في عليّ كرم الله تعالى وجهه حيث أمر سبحانه وتعالى رسوله أن يخبر الناس بولايته فتخوف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا : حابي ابن عمه وأن يطعنوا

فى ذلك عليه . فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية ، فقال بولايته يو
غدير خُم « وهو موضع بين مكة والمدينة ، وأخذ بيده فقال عليه الصلوة
والسلام : من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاداه . »

لا ريب فى أن هذه أسطورة وضعها الشيعة وتكلفوا فى وضعه
شططا ، فرموا النبى بالجن والخوف وما نعلم عنه ذلك ، لأن سيرته علما
السلام المثل الأعلى فى الشجاعة والإقدام . ولم يكن النبى لينخشى الناس
والله أحق أن يخشاه . وكيف يأمر الله رسوله بإخبار الناس بولاية
ويتقاعس النبى عن هذا التبليغ ؟؟ ولم لم يذكر الله عليا فى القرآن
صراحة إن أراد ولايته ؟؟ .

والشعر المنسوب لعلى مجموع فى ديوان مطبوع ومتداول بين الناس
وقد اهتم كثير من أدباء الشيعة بجمعه وطبعه . ولنضرب للقارىء مث
آخر مما ينسب لعلى .

نصرَ الحجارة من سفاهة رأيه ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصوابِ
فصددتُ حينَ تركته متجدِّلاً كالجدعِ بينَ دَكَدِكَ ورواى
وعففتُ عن أثوابه ولو أننى كنتُ المقطرَ بَزْنِ أثوابِ
لا تحسبنَّ الله خاذلَ دينه ونيته يا معشرَ الأحزابِ

قال ابن هشام : « وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فى نسبتها لعلى »
أبى طالب ، وقد أورد ابن هشام فى سيرته قصائد كثيرة تنسب لعلى
عقب على كل منها بمثل ما عقب على تلك القصيدة .

ولا أرى بأساً من أن أضع بين يدي القارىء مثلاً ثالثاً وهو قوله :
مالا يكونُ فلا يكونُ بحيلةٍ أبداً وما هو كائنٌ سيكونُ
سيكونُ ما هو كائنٌ في وقته وأخو الجهالة متعبٌ محزونُ
يسعى القوى فلا ينالُ بسعيه حظاً ويدركُ عاجزٌ موهونُ
فهذا كلام في القدر لم يعرفه المسلمون الأولون إنما عرفوه عند بدء
ظهور علم الكلام ، وهذا بعد على بزم طويل . ثم إن هذا نظم وليس
بشعر . هو نظم العلوم الذي لم يظهر إلا في أيام العباسيين .
وآخر مثل أسوقه للقارىء هو ما روى من أن علياً سمع ناقوساً
يضرب فقال لمن معه ، أتدرون ما يقول هذا الناقوس ، قالوا لا ، قال
فإنه يقول :

نَلْنَا الدُّنْيَا فَاسْتَهْوَيْنَا فَاسْتَهْوَيْنَا وَأَذَلَّيْنَا
وَاسْتَلَبْنَا لَنَا نَدْرَى فِيهَا إِلَّا لَوْ قَدْ مُتْنَا
وَاسْتَبَدَلْنَا دَاراً تَبَقَى جَهْلًا مَنَا دَاراً تَفْنَى
يَا ابْنَ الدُّنْيَا زِنْ بِالدُّنْيَا وَزَنَا وَزَنَا وَزَنَا
يَا ابْنَ الدُّنْيَا تَفْنَى الدُّنْيَا قَرْنَا قَرْنَا قَرْنَا

وهذا أسلوب غريب لم يألّفه المسلمون الأولون الذين كانوا يرسلون
القول على أشد ما يكون قوة ومثانة وروعة وجلالة . أما هذا الشعر
الضعيف المبتذل الذي يكرر فيه صاحبه الألفاظ إلى درجة الإسفاف ،
والذي يصنعه صاحبه ويجهد نفسه في صنعته ، ويتكلفه ويتعب نفسه في
تكلفه فلم يخلق إلا في أواخر أيام بني العباس . وقد رتب واضع هذا

الشعر المقدمة ومهد لشعره بقصة صغيرة فجعل عليا يمر ويسمع ناقوسا ويسأل أصدقاءه عما إذا كانوا يعرفون ما يقول هذا الناقوس فيردون عليه بالنفي ، عندئذ يخبرهم بما يجهلون بتلك الايات التي قدمناها . وعلى الجملة فكل ما جاء في ديوان علي بن أبي طالب يمكن أن يرفض كما رفضنا ما تقدم .

(٣) على السنة أعدائهم

ووضعوا شعرا كثيرا فيه إعلاء من شأن علي وإشادة بشجاعته وإقدامه ، واعتراف بحقه في الخلافة ، وأجروا هذا الشعر على السنة أعدائهم . فن أمثلة ذلك ما ينسب إلى غلام من بني ضبة كان يحارب في صفوف عائشة وهو :

نحن بني ضبة أعداء على ذاك الذي يعرف قدما بالوصي
وفارس الخيل على عهد النبي ما أنا عن فضل علي بالعمي
لكنى أنعى ابن عثمان التقى إن الولي طالب ثار الولي
فأنت ترى في هذا الشعر اعترافا صريحا بحق علي في الوصاية ، وإشادة بمزاياه وفضله وما وهبه الله من حميد الصفات وكريم الخلال التي لم يستطع هذا الفتى الذي كان يحارب ضد علي أن يتناساها ، بل جاهر بها في شعره . ولو أن قائل هذا الشعر كان يؤمن بحق علي في الخلافة ويقر بفضله لما حارب ضده مع قوم كانوا يريدون إهلاكه والقضاء عليه والظفر به . ومن هنا تستطيع أن تدرك أن هذا الشعر من وضع الشيعة أنفسهم .

ولنضرب للقارىء مثلاً آخر. قيل أن عمراً تعرض لعلی فی يوم من أيام صفین ، فحمل علیه علیّ حملة کاد یقضى علیه ، عندئذ ألقى عمرو بنفسه من علی فرسه ورفع ثوبه ، وشغل برجله فبدت عورته فصرف علیّ وجهه عنه ، وقام معفراً بالتراب هارباً علی رجلیه ، معتصماً بصفوفه .. فقال معاویة :

ألا لله من هفوات عمرو یُعَاتِبُنِي عَلِيٌّ تَرْكِي بِرَازِي^(١) .
 فقد لَاقَى أبا حسنٍ عليّاً فآبَ الْوَائِلُ مَآبَ خَازِي
 فلو لم يُبْدِ عورته للآقَى به ليشا يذلل كل نَازِي .
 له كفٌّ كأنَّ براحتيها منايا القوم يخطفُ خطفَ بَازِي
 قيل فغضب عمرو وقال : ما أشد تعظيمك عليّاً في أمری هذا .
 هل هو إلا رجل لقيه ابن عمه فصرعه . أفترى السماء قاطرة لذلك دما .
 قال ولكنها تعقبك جينا . ولما شمت معاوية بعمر و قال عمرو في ذلك .
 معاوی لا تشمت بفارسٍ بهمةٍ لَقِيَ فَارِسا لَا تَعْتَرِيهِ الْفَوَارِسُ
 معاوی إن أبصرت في الخيل مُقْبِلَا أبا حسنٍ يَهْوِي دَهْثَكَ الْوَسَاوِسُ
 وَأَيَقَنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَأَنَّهُ لِنَفْسِكَ إِن لَمْ تَمْضِ فِي الرِّكْضِ خَالِسُ
 فَإِنَّكَ لَوْ لَا قَيْتَهُ كُنْتَ بُومَةً أُتِيحَ لَهَا صَقْرٌ مِنَ الْجَوِّ آئِسُ
 وماذا بقاء القوم بعد اختيابه دعاك فصمت دونه الأذن هارباً وَإِنَّ أَمْرًا يَلْقَى عَلِيًّا لَا يَسُ
 وتشمت بي أن نالني حدٌ رجمه بنفسك قد ضاقت عليك الأماليسُ
 وعَضَّعْنِي نَابٌ مِنَ الْحَرْبِ نَاجِسُ

(١) روى أن علياً طلب من معاوية أن يخرج لمبارزته فرفض .

أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْثٌ غَابِيٌّ أَبُو أَشْبَلٍ تُهْدَى إِلَيْهِ الْعَرَائِسُ
وَرَوَى أَنَّ مَعَاوِيَةَ حَرَصَ بَعْضَ النَّاسِ عَلَى لِقَاءِ عَلِيٍّ وَمُبَارَزَتِهِ
وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقَبَةَ :

يَقُولُ لَنَا مَعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ	أَمَّا فِيكُمْ لَوَاتِرِكُمْ طَلُوبُ
يَشْدُو عَلَى أَبِي حَسَنِ عَلِيٍّ	بِأَسْمَرَ لَا تُهَجُّنُهُ الْكَعُوبُ
لِيَشْجُرَهُ بِأَبْيَضَ مَقْضِيٍّ	وَنَقَعُ الْحَرْبِ مَطْرِدٌ يُوُوبُ
فَقُلْتُ لَهُ أَتَلْعَبُ يَا ابْنَ هَنْدٍ	كَأَنَّكَ يَبْنِنَا رَجُلٌ غَرِيبُ
أَتُغْرِينَا بِحَيَّةٍ بَطْنِ وَادٍ	أَتَبِيعُ لَهُ بِهِ أَسَدٌ مَهِيبُ
بِأَضْعَفِ حِيلَةٍ مِنَّا إِذَا مَا	لَقِينَاهُ وَلُقِينَاهُ عَجِيبُ
سَوَى عَمْرٍو وَقْتَهُ خُصْمَيْنَاهُ	وَكَانَ لِقَالِهِ مِنْهُ وَجِيبُ
كَانَ الْقَوْمَ لَمَّا عَايَنُوهُ	خِلَالِ النَّقْعِ لَيْسَ لَهُمْ قُلُوبُ
كَعَمْرٍو أَيْ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ	وَمَا ظَنُّي سَتَلَحُّقَهُ الْعُيُوبُ
لَقَدْ نَادَاهُ فِي الْهَيْجَا عَلِيٌّ	فَأَسْمَعَهُ وَلَكِنْ لَا يُجِيبُ

أَمَّا بَعْدَ ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَ شُعْرَاءِ الشَّيْعَةِ أَرَادَ الْإِشَادَةَ بِشَجَاعَةِ عَلِيٍّ لَمَّا
اسْتَطَاعَ أَنْ يَقُولَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَقَابِلَ عَمْرٍو
عَلِيًّا فَيُكْشَفُ أَوَّلُهَا عَوْرَتُهُ ، عِنْدَ مَا يَحْسُ بِخَطَرِ الْمَوْتِ ، لِيَنْجُو بِنَفْسِهِ مِنَ
الْهَلَاكِ الْمَحْقُوقِ . لَيْسَ مَعْقُولًا أَنْ يَصْدُرَ هَذَا مِنْ رَجُلٍ فِي مَرْكَزِ عَمْرٍو بْنِ
الْعَاصِ . وَأَبْعَدُ مِنْ هَذَا أَنْ يَعْبِرَهُ مَعَاوِيَةُ بِتِلْكَ الْحَادِثَةِ . وَفَضْلًا عَمَّا تَقْدِمُ
فَإِنَّ مَعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا .

وإنك لتجد في شرح ابن أبي الحديد^(١) كثيرا من القصائد التي تنسب إلى معاوية وعمر بن العاص وابن عباس والوليد بن عقبة . وكل هذه القصائد فيها مدح كثير للأمام ، وتعظيم لشأنه تعظيما فيه مبالغة وإسراف . وهذا شيء لا ينتظر من قوم عرفوا بشدة بغضهم لعلي ، والإمعان في الكيد له ، والتقليل من خطره ، والتهوين من أمره ، والخط من شأنه .

وقد أسرف أدباء الشيعة في وضع مثل هذه القصائد حتى أنهم وضعوا شعرا ونسبوه إلى جبريل . روى أن الناس في غزوة أحد ، لما تفرق المسلمون عن النبي ووقف على يذود عنه ويرد عادية المشركين ، سمعوا صائحا يصيح في السماء بهذا البيت .

لَا سِيفَ إِلَّا ذُو الْقَعَا . يَا وَلَا قِيَّ إِلَّا عَلِي
فسألوا النبي فقال ذاك جبرائيل^(٢) .

(٤) كفر ومجون

كما أنهم وضعوا شعرا كثيرا فيه كفر والحاد ، وفيه خلاعة ومجون ونسبوه إلى أعدائهم من خلفاء بني أمية . ومثال ذلك ما وضعوه على يزيد ابن معاوية .

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِيَدِ شَهِدَا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلُ
لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحَا ثُمَّ قَالُوا يَا زَيْدُ لَا تُثَلُّ
لَعَبْتُ هَاشِمُ بِالْمَلِكِ فَلَا خَبْرُ جَاءَ وَلَا وَحْيُ نَزَلَ

(٢) شرح ابن أبي الحديد .

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٦ ص ١١١ .

لستُ من خندف إن لم انتقم من بنى أحمد ما كانَ فعلم
فليس مما يعقل أن يصدر مثل هذا القول من رجل يحكم الناس باسم
الدين، ويسيطر عليهم باسم الدين، ويخضعهم باسم الدين. نعم ليس من
المعقول أن يطعن يزيد في الإسلام الذى لولاه لما كانت هناك خلافة
ولما كان هناك سلطان. وإذا صدقنا أن يزيد كان فيما بينه وبين نفسه
ملحدا، فلا نستطيع أن نصدق أنه يجاهر بهذا ويصرح به في مثل
هذا الشعر.

ومثل آخر أسوقه للقارىء وهو قول أحد أنصار معاوية مخاطبا لياه
أعط عمرا إن عمرا تارك دينه اليوم لدنيا لم تحز
أعطه مصرا وزده مثاها إنما مصر لمن عز. وبز
إن مصرا لعللى أو لنا يغلب اليوم عليها من بحج
ففى هذا الشعر ترى أن عمرا ترك دينه وباع آخرته بدنياه
وفضل العاجلة على الآجلة، وذلك بنصره معاوية فى حربه ضد على
وليس مما يصدق العقل أن يجرؤ أحد أتباع معاوية على مخاطبة سيده بمثل
هذا القول.

ومثال آخر وهو مما ياسب إلى عمرو بن العاص.

لما تعرّضت الدنيا عرّضت لها بحرص نفسي وفى الأُطباع أذهان
نفس تعف وأخرى الحرص يغلبها والمرء يأكلُ تبنا وهو غرّان
أما على فدين ليس يشركه دنيا وذلك له دنيا وسلطان
فاخترت من طمعى دنيا على بصر. وما معى بالذى اختار برهان

إني لأعرف ما فيها وأبصره وفي أيضا لما أهواه ألوان
لكن نفسي تحب العيش في شرف وليس يرضى بذل العيش إنسان
وليس أبعد إلى الذهن من تصديق صدور مثل هذا القول من
شخص كعمرو عرف بميله الشديد إلى معاوية وانصرافه عن علي . وهو
لم يجد في ذلك كفرا ولا خروجا عن الدين ، ولم ير أنه اختار الدنيا
وأعرض عن الآخرة ، بل كان يعتقد أن الخلافة سلطة زمنية يتسلم
مقاليدها من يصلح لها من الناس . ومعاوية في نظره كان صالحا لها ، فإن
فصره انتظر منه أحسن الجزاء ، وأعظم العطاء .

ومن ^(١) أمثلة هذا الشعر ما روى عن الوليد بن يزيد من أنه دعا ذات
ليلة بمصحف ، فلما فتحه وافق ورقة فيها « واستفتحوا وغاب كل جبار
عنيد . من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد ، فقال : أسجعا سجعا !!
علقوه ، ثم أخذ القوس والنبل فرماه حتى مرقه ، ثم قال :

أتوعدُّ كلَّ جبارٍ عنيدٍ فها أنا ذاك جبارٌ عنيدٌ
إذا لاقيتَ ربَّك يومَ حشرٍ فقلْ لله مَرْقِي الوليدُ

وليس من المعقول أن يصدر هذا من الوليد بن يزيد مع اعترافنا
بأنه كان يميل إلى اللهو والمجون ، لأنه هو القائل :

أشهدُ أن الدينَ دينَ أحمدٍ فليسَ من خالفه بمهتدي
وأنه رَسولُ ربِّ العرشِ القادرِ الفردِ الشديدِ البطشِ
أرسله في خلقه نذيرا وبالكتابِ واعظا بشيرا

ليظهر الله بذلك الديننا وقد جعلنا قبلُ مُشركينا
فآثار التكلف ظاهرة على تلك القصة بوضوح وجلالة ، فواضعها جعل
الوليد يطلب مصحفا لغير ما سبب ، ثم يفتحه ، وهنا يظهر التصنع الذى
يجعل نظر الوليد أول ما يقع على آية « واستفتحوا وخاب كل جبار
عنيذ . . . » ثم تدرج صانع هذه الأسطورة ، فجعل الوليد يقول : أسجعا
سجعا علقوه ، ثم جعله يأخذ النبل ويرميه حتى يمزقه ، ثم أنطقه بهذا
الشعر الذى سقناه . ومهما يكن دين الوليد ، فمن المستبعد أن يقول
« ها أنا ذاك جبار عنيذ » .

ومثل آخر نسوة للقارىء وهو ما حكى عن الوليد من أنه سمع
صياحا فسأل عنه ف قيل له : هذا من دار هشام يبيكه بناته فقال :

إني سمعتُ بليلى ورا المصلى برنة
إذا بناتُ هشام يندبن والدهنة
يندبن قرما جليلا قد كان يعضدهنة
أنا المحنتُ حقا إن لم أنيكنهنه

فظاهر أن البيت الأخير لا يمكن أن يصدر من الوليد . فبنات
هشام هن بنات عمه وهو أحق الناس بالمحافظة على أعراضهن .

وقد نسبوا له شعرا ثبت أنه لغيره من شعراء المجون . ومثال ذلك
ما رواه صاحب الأغاني « خرج الوليد بن يزيد من مقصورة إلى مقصورة

فإذا هو بنت له معها حاضنتها فوثب عليها فاقترعها ، فقالت له : إنها
المجوسية ، قال : اسكتي ثم قال :

من راقبَ الناسَ ماتَ غمًّا وفازَ باللسنةِ الجسورُ
قال أبو الفرج^(١) : « وأحسب أن هذا الخبر باطل ، لأن هذا
الشعر لسلم الخناس ، ولم يدرك زمن الوليد ، .

الفصل الثاني

الشعر عند الشيعة

لقد أغنت حركة التشيع الشعر العربي إلى حد كبير . وكان الشعر الناتج عنها شعرا غزيرا قويا . وسبب ذلك أن الموقف الذي وقفه الشيعة من شأنه أن يلهب العاطفة ويهيجها ويتيرها . والعاطفة أكبر دعامة من دعائم الشعر . وكان للشيعة عواطف بارزة قوية يرجع إليها الفضل في كثرة ما وصلنا عنهم من شعر . العاطفة الأولى عاطفة الغضب ، فإنهم اعتقدوا أنهم سلبوا حقهم وغصبوه . واعتدى عليهم ظلما فحنقوا وغضبوا ، ودفعهم الغضب إلى أن يقولوا شعرا فياضا بالحنق والغضب على هؤلاء المعتصيين .

أما العاطفة الثانية فهي عاطفة الحزن على ما حل بهم من نكبات جسام ، وما وقع عليهم من مصائب عظام طوال حكم الأمويين والعباسيين . والعاطفة الثالثة عاطفة الحب الشديد لآل البيت ، هذا الحب الذي أخذ يزداد بمرور الأيام ويقوى كلما اشتد اضطهاد الأمويين والعباسيين لأئمتهم .

وإذا نظرنا إلى الشعر عند الشيعة وجدنا أغراضه تنحصر في الأمور الآتية :

(١) المدح

مدح شعراء الشيعة أتمتهم بقصائد رائعة ، أظهروا فيها حبهم وعطفهم لآل البيت ، وإخلاصهم لهم وولاءهم . وقد كان هذا المدح في أول الأمر ساذجا لا غلو فيه ولا إسراف . ومثال ذلك ما ينسب إلى حجر بن عدي الكندي يمدح علياً يوم الجمل :

يا ربنا سلم لنا عليا سلم لنا المبارك المضيا
المؤمن الموحد التقيا لا خطل الرأي ولا غويا
بل هاديا موقفا مهديا واحفظه ربّي واحفظ النيا
فيه فقد كان له وليا ثم ارتضاه بعده وصيا
وربما كان البيتان الأخيران قد أضافهما أحد الشيعة ممن عاشوا بعد عصر علي .

ومثل آخر من المدح وهو ما ينسب إلى أحد شعراء الشيعة يذكر نفور قومه إلى علي :

توقّره في فضله ونجّله وفي الله ما نرجو وما تتوقّع
دلّفتنا بجمع آثروا الحق والهدى إلى ذي تقى في نصره تتسرّع
نكافح عنه والسيوف شهيرة تصافح أعناق الرجال فتقطع

ثم أخذ الشعراء يغنون في المديح شيئا فشيئا . ومثال ذلك ما ينسب للفرزدق في مدح^(١) علي بن الحسين . روى أن هشاما حج قبل أن يلي

الخلافة ، فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه ، وجاء على بن الحسين فوقف له الناس وتنحوا حتى استلبه فقال أهل الشام لهشام : من هذا يا أمير ؟ فقال : لا أعرفه . فقال الفرزدق : لكني أعرفه ، هذا على بن الحسين . وأنشأ يقول :

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته	والبيتُ يعرفُ والحلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلهمُ	هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
إذا رآته قریشٌ قالَ قائلها	إلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ
إن عداءَ أهلِ القرى كانوا ذوى عددٍ	أوقيل من خير أهل الأرض قيل همُ
فليس قولك من هذا بضائره	العرب تعرف من أنكرت والعجمُ
هذا ابنُ فاطمة إن كنت تجهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
في كفه خيزرانٌ ريحُه عبقٌ	من كف أروع في عرينه شممُ
يغضى حياءً ويُغضى من مهابة	فلا يكلم إلا حين ينتسمُ

وهي خمسة وعشرون بيتاً . وقد شاع بين الناس أنها للفرزدق مع أن من المشكوك فيه أن الفرزدق يرتجل كل هذا في حضرة هشام ولا يجد من يقوم في وجهه من الجالسين . وقد ثبت أن الفرزدق قال أربعة أبيات ، ثم أخذ أدباء الشيعة يزيدون عليها ما ليس منها حتى بلغت خمسة وعشرين بيتاً .

ذكر صاحب^(١) الأغاني أن هذين البيتين .

في كفه خيزرانٌ ريحُه عبقٌ من كف أروع في عرينه شممُ

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
قَالَهُمَا عمرو بن عبيد الشهير بالحزين في مدح عبد الله بن عبد الملك
ابن مروان ، وكان عبد الله من فتيان بني أمية وظرفائهم ، وكان حسن
الوجه حسن المذهب .

قال أبو الفرج ^(١) « والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته
التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام التي أولها .
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
وهو غلط ممن رواه ، وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل علي
ابن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد » .

وقال في موضع آخر « من الناس من ينسب هذه الأبيات لداود بن سلم
في قثم بن العباس ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد مولى قثم فيه . » ثم
أورد صاحب الأغاني الأبيات الآتية :

كَمْ صَارَخَ بِكَ مِنْ رَاجٍ وَرَاجِيَةٍ يَرْجُوكَ يَا قَتْمُ الْخَيْرَاتِ يَا قَتْمُ
أَيُّ الْعِمَائِرِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوَّلِيَّةٍ هَذَا أَوَّلُهُ نَعْمُ
فِي كَفِّهِ خَيْرٌ رَأَى رِيحَهُ عَبَقُ مِنْ كَفِّ أُرُوعٍ فِي عَرْنِينِهِ سَمُّ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

قال أبو الفرج « وبما ذكر لنا الصولي عن العلاءي عن مهدي بن
سابق أن داود بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأول في

شعره في علي بن الحسين عليه السلام . وذكر الرياشي عن الأصمعي أن رجلاً من العرب يقال له داود وقف لقم فناداه وقال :
 يكادُ يمسِكُه عرفان راحته ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم
 كم صارخ بك من راجٍ وراجية في الناس يا قم الخيرات يا قم
 فأمر له بجائزة سنية ، والصحيح أنها لمالك الحزين في عبد الله بن عبد الملك . وقد غلط ابن عائشة في إدخاله البيتين في تلك الأبيات .
 وأبيات الحزين مؤتلفة^(١) منتظمة المعاني متشابهة تنبيء عن نفسها ،

* * *

ومن أمثلة المديح قول الكمي :
 بل هَوَايَ الَّذِي أَجُنُّ وَأُبْدِي لَبِي هَاشِمٍ فِرْعَوْنَ^(٢) الْإِنَامِ
 لِلْقَرِيبِينَ مِنْ نَدَى وَالْبُعِيدِ نَ مِنْ الْجَوْرِ فِي عُرَى^(٣) الْأَحْكَامِ
 وَالْمَصِيدِينَ بَابَ مَا أَخْطَأَ النَّاسُ وَمَرْسَى قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ
 وَالْحِمَاةِ الْكَفَاةِ فِي الْحَرْبِ إِنْ لَفَ فِ ضِرَامٍ وَقَوْدِهِ^(٤) بِضِرَامِ
 وَالْغِيُوْثِ الَّذِينَ إِنْ أَعْلَلَ النَّاسُ فَمَاؤَى حَوَاضِنِ^(٥) الْأَيْتَامِ

* * *

(١) الأعلى ج ١٤ / ٧٥ .
 (٢) الهوى : الميل . أجن : أضمر . أبدى : أظهر . وفروع الأنام . أرفعهم وأسمائهم .
 (٣) الندى . الكرم . والعري جمع عروة . والأحكام جمع حكم .
 (٤) الحماة جمع حامى وهو الذاب عن الحرم .
 (٥) الغيوث : جمع غيث وهو المطر والحصب . وأعزل الناس أحذبوا . والمحل : الحدب والقحط — حواصن الأيتام يرد بهم أمهات الأيتام .

ولما تطورت معتقدات الشيعة وظهرت آراؤهم في الأئمة والقول بعصمتهم ، وأن الإمام يشفع لأمة يوم القيامة ، جاء ذلك واضحا جليا في شعر الشعراء الذين بلغوا في الغلو درجة بعيدة . ومثال ذلك قول ابن هاني الأندلسي يمدح المعز لدين الله الفاطمي :

ما شئتَ لا ماشاءت الأقدارُ	فاحكم ، فأنتَ الواحدُ القهارُ
وكانما أنتَ النبيُّ محمدُ	وكانما أنصارك الأنصارُ
أنتَ الذي كانت تُبشِّرُنَا به	في كُتُبِها الأخبارُ والأخبارُ
هذا إمامُ المتقينَ ومن به	قد دُوِّخَ الطُّغيانُ والكُفَّارُ
هذا الذي تُرجى النجاةُ بحبِّه	وبه يُحطُّ الإصرُ والأوزارُ
هذا الذي يُجدي شفاعتُه غدا	حقّا وتحمُّدُ أن تراه النارُ
من آل أحدٍ كلُّ غفرٍ لم يكن	ينمى إليهم ليس فيه نِفَارُ
كالبدرِ تحتَ غمامَةٍ من قسطل	ضحيان لا يُخفيه عنك سِرارُ

وقد شاع مثل هذا المديح بين شعراء المسلمين . أنظر إلى المتنبي حين يقول :

لو كانَ عليك بالإله مُقسِّما	في الناس ما بعثَ الإلهُ رسولا
أو كانَ لفظك فيهم ما أنزل الـ	توراة والفرقان والإنجيلا

وانظر إليه حين يقول :

لو كان ذو القرنين أَعْمَلَ رأيَه	لما أتى الظُّلُمات صِرْنَ شُموسا
أو كان صادفَ رأسَ عازر سيفه	في يوم معركةٍ لأعيا عيسى
أو كان لُجَّ البحر مثل يمينه	ما أنشَقَّ حتى جاز فيه موسى

يا من تَلَوْتُ من الزَّمان بظِّلِهِ أبداً ونَطَرْتُ باسمه إبليساً

وقد كثر مدح الشعراء لآل البيت كثرة مدهشة واشترك في هذا المديح شعراء شيعيون وسنيون . وكان مديح آل البيت سببا في ظهور المدايح النبوية ، والاستغاث بآل رسول الله . وقد شغل هذا وذاك مكانا كبيرا في عالم الشعر كما أن هذا المديح في آل علي دفع كثيرا من الشعراء إلى نظم القصائد في مدح أبي بكر وعمر وعثمان فظهر ما نراه من القصائد البكرية والعمرية والعثمانية .

(٢) الرثاء

كانت مجزرة كربلاء التي قتل فيها الحسين وما حل بالعلويين بعدها دافعا قويا للشعراء أنطقهم بكثير من القصائد التي تسيل العبرات ، وتذيب القلوب ، وتفتت الأكباد . ولا غرابة في ذلك فهي صدى لتلك الدماء التي سفكت بغير حساب ، والأشلاء التي تناثرت وتركت على الأرض طعاما للطير ، والجثث التي أحرقت وذريت في الهواء ، والأجسام التي صلبت وبقيت مصلوبة أياما تنبعث منها الروائح الكريهة ، والقبور التي هدمت وحرث مكانها وزرع . وقد كثر الشعر في رثاء آل البيت كثرة هائلة ، وكله صادر من أعماق النفوس ، منبعث من قرارة الأفتدة . فكان للأدب العربي من ذلك تروة لا تقدر . ومن أمثلة ذلك ما ينسب لزوجته الحسين .

إنَّ الذي كان نورا يُستضاء به بِكربلاء قتيلٌ غيرُ مدفونٍ

سَبَطَ النَّبِيُّ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً
 قَدْ كُنْتَ لِي جَبَلًا صَعْبًا أَلُوذُ بِهِ
 مَنْ لَلِيتَامَى وَمَنْ لَلِسَائِلِينَ وَمَنْ
 وَاللَّهِ لَا أَبْتَغِي صَهْرًا بِصَهْرِكُمْ
 عَنَّا وَجُنُبْتَ خُسْرَانَ الْمَوَازِينِ
 وَكُنْتَ تَصْحَبُنَا بِالرَّحْمِ وَالِدِينَ
 يُغْنِي وَيَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مِسْكِينٍ
 حَتَّى أُغَيَّبَ بَيْنَ الرَّمْلِ وَالطِّينِ

وقول السيد الحميري :

أُمِرُّزْ عَلَى جَدَثِ الْحَسَنِ
 آعْظِمَا لَا زَلَّتِ مِنْ
 وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ
 وَابِكِ الْمُطَهَّرِ لِلطَّ
 كُبُكَاءَ مُعْصِلَةٍ أَتَتْ
 بَيْنَ قَقْلٍ لِأَعْظَمِهِ الزَّكِيَّةِ
 وَطِفَاءٍ سَاكِتٍ رَوِيَّةِ
 فَأُطْلُ بِهِ وَقَفَ الْمُطَيَّةِ
 هَرِ وَالْمُطَهَّرَةِ النَّقِيَّةِ
 يَوْمًا لَوَاحِدِهَا الْمُنِيَّةِ

ومن جيد ما قيل في رثاء آل البيت قصيدة دعل الخزاعي التي

يقول فيها :

مدارس^(١) آياتٍ خَلَتْ مِنْ قِلَاوَةٍ
 لآلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مِيٍّ
 دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ
 دِيَارُ عَفَاها كُلُّ جَوْنٍ مُبَاكِرٍ
 قِفَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا
 وَأَيْنَ الْأَلَى شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى
 وَمَنْزَلُ وَحْيٍ مُقْفِرُ الْعَرَصَاتِ
 وَبِالرُّكْنِ وَالتَّغْرِيفِ وَالْجَمَرَاتِ
 وَحَمَزَةَ وَالسَّجَادِ ذِي^(٢) الثَّفَنَاتِ
 وَلَمْ تَعْفُ لِلْأَيَّامِ وَالسَّنَوَاتِ
 مَتَى عَهْدُهَا بِالصُّومِ وَالصَّلَوَاتِ
 أَفَانِينَ فِي الْآفَاقِ مُفْتَرِقَاتِ

(١) معجم الأدباء ج ١١ / ١٠٣ .

(٢) السجادة هو علي بن عبد الله بن العباس سمي بهذا لكثرة السجود . والثفنات جمع
 نفثة وهي ركة الإنسان . يريد أن ركبته تأثرتا من كثرة السجود .

وهي طويلة ، وسنورد بقيتها حينما نتكلم عن أشهر شعراء الشيعة .
وقد روى أن كثيرا من شعراء الشيعة وأدبائها كانوا يجتمعون
ويكون وينوحون بالقصائد التي ينظمونها في رثاء آل البيت . وبما بُكِيَ
به قول أحد الشعراء .

بني أحمدٍ قلبي لكم يَتَقَطَّعُ بمثل مُصايٍ فيكمُ ليس يُسْمَعُ
عَجِبْتُ لِمَ تَقْنُونُ قَتْلًا بِسَيْفِكُمْ وَيَسْطُو عَلَيْكُمْ مَنْ لَكُمْ كَانَ يَخْضَعُ
كان رسول الله أَوْصَى بِقَتْلِكُمْ وَأَجْسَامِكُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ تُوزَعُ

(٣) الهجاء

أكثر شعراء الشيعة من هجاء أعدائهم أمويين وعباسيين ، كما هجوا
أبا بكر وعمر وعثمان هجاء مرا ، وقالوا في ذلك كثيرا . ومن أشهر من
عرّض بهؤلاء في شعره السيد الحميري ، وهو شاعر عاش في أواخر
الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية . وكان شيعيا غالبا ، وقد ذكره
صاحب الأغاني ^(١) بقوله : فكان يفرط في سب أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، ويستعمل شعره في قذفهم والطعن عليهم
فتحوى شعره من هذا الجنس وغيره ، وهجره الناس تخوفا وتوقيا ،

وكان مهيار الديلمي الذي عاش في القرن الرابع الهجري كثير الطعن
في هؤلاء الصحابة . ولكن شعره لم يهجره الناس كما هجروا شعر السيد

الحميري ، فوصل إلينا كل ما قاله في هذا الباب . ومن أمثلة هذا الهجاء :
قول أحد شعراء الشيعة :

قد كنتُ أطمعُ أن أموتَ ولا أرى فوق المنايرِ من أمةٍ خاطيا
فاللهُ آخرُ مدتي فتطاولتُ حتى رأيتُ من الزمانِ عجائبا
في كلِّ يومٍ للزمانِ خطيئهم بينَ الجميعِ لآلِ أحمدَ عابيا
وقول ميار :

حملوها يوم السقيفةِ أوزا را تحفَّ الجبال وهي ثقَالُ
ثم جاءوا من بعدها يستقيلو نَ وهياتَ عثرةٌ لا تُقالُ
يا لها سوءةٌ إذا أحمدَ قا م غدا بينهم فقال وقالوا
ربعُ همي عليهم طللُ با قِ وتبلى الهمومُ والاطلالُ
ومن قوله أيضا :

أاللهَ يا قومُ ، يقضي النبيُّ مطاعا فيُغصى وما غُسلَا
ويُوصى فنحرصُ دعوى عليه هِ في تركهِ دينه مُهملا
ويجتمعون على زعمهم ويُنيبك سعدٌ بما أشكلا
فيعقب إجماعهم أن يديه ب مفضولهم يقدم الأفضلا
وأن يُنزع الأمرُ من أهله لأن عليا له أهلا
وساروا يحطون في آله بظلمهم ككلا ككلا
ومنها :

فيوم السقيفةِ يا بن النِّب يَّ طرقَ يومك في كربلا

وَعَضْبُ أَيْكَ عَلَى حَقِّهِ وَأَمَّكَ حَسَنَ أَنْ تُقْتَلَ

ولما أكثر شعراء الشيعة من الطعن على الخلفاء الأول قام فريق من شعراء السليين يدافعون عن أبي بكر وعمر وعثمان ويذودون عنهم ، فكان من هذا وذاك شعر كثير . قال بديع الزمان الهمداني من قصيدة طويلة .

إِمَامٌ مِنْ أَجْمَعٍ فِي السَّقِيفَةِ قَطْعًا عَلَيْهِ أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ
نَاهِيكَ مِنْ آثَارِهِ الشَّرِيفَةِ فِي رَدِّهِ كَيْدَ بَنِي حَنِيفَةِ
سَلِ الْجِبَالَ الشُّمَّ وَالْبَحَارَا وَسَائِلَ الْمَنْبَرِ وَالْمَنَارَا
وَاسْتَعْلِمِ الْآفَاقَ وَالْأَقْطَارَا مِنْ أَظْهَرَ الدِّينِ بِهَا شِعَارَا
ثُمَّ سَلِ الْفَرَسَ وَبَيْتَ النَّارِ مِنَ الَّذِي قَلَّ شَبَابُ الْكُفَارِ
هَلْ هَذِهِ الْبَيْضُ مِنَ الْآثَارِ إِلَّا لثَانِ الْمُصْطَفَى فِي الْغَارِ
وهي طويلة فليرجع إليها القارىء . إن شاء في الجزء الثاني من معجم الأدباء طبع القاهرة^(١) .

(٤) الدِّفَاعُ عَنْ حَقِّ عَلِيٍّ

كان الدِّفَاعُ عَنْ حَقِّ عَلِيٍّ وَآلِ بَيْتِهِ فِي الْخِلَافَةِ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ الَّتِي شَغَلَتْ شُعْرَاءَ الشَّيْعَةِ ، فَتَنَاقَلُوا هَذَا الْمَوْضُوعَ وَقَالُوا فِيهِ كَثِيرًا . دَافَعُوا عَنْ هَذَا الْحَقِّ دِفَاعًا مَذْكُورًا ، وَلَمْ يَتْرَكُوا حُجَّةً وَلَا دَلِيلًا يَثْبُتُ حَقَّهُ فِيهَا إِلَّا أَتَوَاهُ بِمَفْصَلٍ مُشْرُوحٍ ، وَلَمْ يَدْعُوا بِرَهَانٍ وَلَا بَيْنَةٍ تُؤَيِّدُ رَأْيَهُمْ ،

وتدعم مذهبهم إلا ذكروها ونوهوا بها . ويعتبر الكميت أول شاعر
 شيعي لجأ في الدفاع عن حق علي إلى الدليل والبرهان ، وقد قال عنه
 الجاحظ « إنه من أول من دل الشيعة على طرق الاحتجاج ، ومن قوله :
 وقالوا وريثناها أبانا وأمنا وما ورثتهم ذاك أم ولا أب
 يرون لهم حقاً على الناس واجباً سفاهاً وحق الهاشميين أوجب
 ولكن مواريث ابن آمنة الذي به دان شرقي لكم ومغرب
 ومنها :

يقولون لم يُورث، ولولا تراثه	لقد شركت فيه بكيلاً وأرحب
وعكّ ولحم والسكون وحير	وكندة والحيان بكر وتغلب
ولا نتشلت ^(١) عضوين منها يحابر	وكان لعبد القيس عضو ^(٢) مؤرب
ولا تتقلت من خندف في سواهم	ولا قتدت قيس بها ثم أثقبوا
ولا كانت الانصار فيها أدلة	ولا غيبا عنها إذا الناس غيب
هم شهدوا بدرا وخير بعدها	ويوم حنين والدماء تصبب
وهم راثموها ^(٣) غير ظئر ^(٤) وأشبوا	عليها بأطراف القنا وتحدّوا
فإن هي لم تصلح لقوم سواهم	فإن ذوى القرى أحق وأقرب
فيالك أمرا قد اشتت وجوهه	ودارا ترى أسابها تتقضب
تبدلت الأشرار بعد خيارها	وجد بها من أمة وهي تلعب

فأنت ترى أن الكميت قد ألف حجة قوية فهو يقول : لو لم يورث

(١) أخذت نصيبين .

(٣) قبلوا دعوة الرسول .

(٢) عضو مؤرب نصيب تام .

(٤) الطئر التي تعطف على غير ولدها .

التي لكانت الخلافة شائعة في قبائل العرب ، ولما كان هناك معنى للقول .
بأن الخلافة في قريش . فإن قلتم بأن الخلافة في قريش ودفعتم الأنصار
عنها بهذه الحجة ، فلا معنى لتقديم قريش إلا لقرابتها من الرسول ،
وإذا كانت قرابتها هذه هي الحجة التي تستند إليها فالأقرب أولى . فبنو
هاشم أولى من بني أمية ، وبنو عليّ أولى من بني هاشم . وهذه الحجة
التي أتى بها الكميّ ليست جديدة ، ولا هي من اختراعه ، بل مررنا
ذكرها حينما رأينا عليا يجادل أبا بكر وعمر ، ويقول لهما : أنا أحتج
عليكما بمثل ما احتجتم على الأنصار . ولكن الكميّ أول من صاغ
هذه الحجج في الشعر وأتى بها في القصيد .

* * *

وقد ترتب على مثل هذا الشعر ظهور نوع من النقائض بين شعراء
العلويين والعباسيين ، ترى فيها الحجة تدفع الحجة ، والبرهان يبطل
البرهان . واجتهد كل فريق في الاستناد إلى القرآن والحديث والسنة
والإجماع لتأييد وجهة نظره . ومثال ذلك قول أحد شعراء العباسيين
مخاطبا الرشيد :

يا ابن الأئمة من بعد النبي ويا بن الأوصياء أقر الناس أو دفعوا
لولا عدي^(١) وتيم^(٢) لم تكن وصلت إلى أمية تمرّ بها وترتضع
وما لال عليّ في إمارتكم وما لهم أبدا في إرثكم طمع

(١) قبيلة منها عمر بن الخطاب .

(٢) قبيلة منها أبو بكر الصديق .

يا أيها الناس لا تعزب حلومكمو ولا تضيفكم إلى أكنافها البدع
العم أولى من ابن العم فاستمعوا قول النصيحة إن الحق مستمع
وقول شاعر آخر :

ألا لله دَرُّ بنى عليٍّ ودَرُّ من مَقَّالتهم كثيرُ
يسمون النبيَّ أبا ويأبى من الأحزابِ سطرٌ بل سطورُ
يشير الشاعر هنا إلى آية الأحزاب « ما كان محمد أبا أحد
من رجالكم ولكن رسول الله » . وكان من أكبر دعاة العباسيين في الشعر
مروان بن أبي حفصة . لقد مدح المهدي والرشد ، ونال جوائزهما
العظيمة ، وله قصيدة مشهورة مدح بها المهدي عندما عقد البيعة
لابنه الهادي :

يا ابن الذي ورث النبيَّ محمداً دون الأقارب من بنى الأعمام
الوحي بين بنى البنات وبينكم قطع الخصام فلات حين خصام
ما للنساء مع الرجال فريضة نزلت بذلك سورة الأنعام
خلّوا الطريق لمعتري^(١) عاداتهم حطم المناكب كل يوم زحام
إرضوا بما قسم الإله لكم به ودعوا وراثة كل أصيد حام
أني يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام
ألغى سهامهم الكتاب فحاولوا أن يشرعوا فيها بغير^(٢) سهام

(١) بربد بالمعشر العباسيين . وحطم المناكب يوم الرعام كناية عن عليهم لخصومهم
يوم التماس في المجد .

(٢) أي أن ينالوها دون أن يكون لهم نصيب مفروض فيها .

ظَفِرَتْ بنو ساقِ الحَجِيجِ بِحَقِّهِمْ وَغُرِّمَتْ بِتَوَهُّمٍ ^(١) الْأَحْلَامِ
عَقِدَتْ لموسى بالرَّصَافَةِ بَيْعَةً شَدَّ الْإِلَهُ بِهَا عُورَى ^(٢) الْإِسْلَامِ
موسى الذى عرفتُ قَرِيشُ فَضْلَهُ وَلَهَا فَضِيلَتُهَا عَلَى الْأَقْوَامِ
قِيلَ إِنْ أَشَدَّ بَيْتُ كَانَ عَلَى الشَّيْعَةِ قَوْلُهُ :

أَنْى يَكُونُ — وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنْ — لَبْنِ الْبَنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ ^(٣)
وَقَدْ غَاضَهُمْ هَذَا الْبَيْتُ حَتَّى لَعَنُوهُ مِنْ أَجْلِهِ ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِمْ :
لَمْ لَا يَكُونُ وَإِنَّ ذَاكَ لَكَائِنْ لَبْنِ الْبَنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ
لَلْبَنَتِ نَصْفٌ كَامِلٌ مِنْ مَالِهِ وَالْعَمُّ مَتْرُوكٌ بِغَيْرِ سَهَامِ
مَا لِلطَّلِيقِ وَلِلتَّرَاثِ وَإِنَّمَا صَلَّى الطَّلِيقُ مَخَافَةً ^(٤) الصَّمَامِ
قال أبو الفرج : قال صالح بن عطية الأضجم وهو شيعى ، لما قال
مروان :

أَنْى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنْ لَبْنِ الْبَنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ
لَزِمَتْهُ وَعَاهَدَتْ اللَّهَ أَنْ أَغْتَالَهُ فَأَقْتَلَهُ أَى وَقْتُ أَمَكْنَى ذَلِكَ ،
وَمَا زِلْتُ الْأَطْفَهَ وَأَبْرَهَ ، وَأَكْتُبُ أَشْعَارَهُ حَتَّى خَصَصْتُ بِهِ فَأَنْسَ بى
جَدًا ، وَعَرَفْتُ ذَلِكَ بَنُو حَفْصَةَ جَمِيعًا فَأَنْسَوْا بى ، وَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ غِرَّةً
حَتَّى مَرَضَ مِنْ حُمَى أَصَابَتْهُ ، فَلَمْ أَزَلْ أَظْهَرُ لَهُ الْجَزْعَ عَلَيْهِ حَتَّى خَلَا لى
الْبَيْتِ يَوْمًا فَوُثِّبَتْ عَلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِحَلْقِهِ فَمَا فَارَقَتْهُ حَتَّى مَاتَ .

(١) ساق الحَجِيجِ هو العباس بن عبد المطلب كان يسقى المحتاج بمكة فى الجاهلية .

(٢) موسى الهادى ابن الخليفة المهدي .

(٣) وراثَةُ الْأَعْمَامِ : يرید وراثَةَ كُورَاثَةِ الْأَعْمَامِ .

(٤) الطَّلِيقُ هو العباس أسر مع المشركين يوم بدر ثم اعتدى نفسه .

ولقد كان مروان من أحب الشعراء إلى الرشيد لأنه كان يصل
مدح الرشيد بالتعريض بالشيعة والظعن فيهم . وقد اضطر الشعراء
الآخرون إلى مجارة مروان في طريقته حتى يظفروا بمثل ما كان يظفر به
من العطايا والهبات .

(٥) ذكر مناقب آل البيت

أكثر شعراء الشيعة من التغنى بمناقب علي وآل بيته في شعرهم .
فكانوا كلما سمعوا منقبة قالوا فيها شعرا ولو كانت هذه المنقبة مما لا يقبله
العقل . وتعتبر قصائدهم التي نظموها في هذا الموضوع من الشعر
القضصى ؛ لأنك تجد الشاعر يسرد لك عجيبة من عجائب علي ، أو عادة من
خوارق عاداته ، أو أمرا غريبا وقع له من شأنه أن يرفع من مقام علي
أمام الناس ويجعله سيد الأوصياء بغير شك ولا ريب . وقد كان
السيد الحميري من أكثر شعراء الشيعة ذكرا لمناقب علي . قال صاحب
الأغانى ^(١) « كان السيد الحميري يأتي الأعمش — وهو عالم كوفي ثقة في
الأخبار — فيكتب عنه فضائل علي رضي الله عنه ، ويخرج من عنده
ويقول في تلك المعاني شعرا » .

ثم قال « نخرج ^(٢) ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة ، وقد حمه
علي فرس ، وخلع عليه ، فوقف بالكناسة — محلة بالكوفة — ثم قال :
يا معشر الكوفيين ، من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل
فيها شعرا أعطيته فرسي هذا وما علي . فجعلوا يحدثونه وهو ينشدهم » .

(١) و (٢) الأغانى ج ٧ .

من ذلك أنه سمع رجلا يروى عن النبي أنه قال لعلي بن أبي طالب :
إنه سيولد لك بعدى ولد ، وقد نخلته اسمى وكنتى فقال فى ذلك قصيدة
طويلة نذكر منها .

ألم يبلغك والأنباء تنمى مقال محمد فيما يؤدى
إلى ذى عليه الهادى على وخولة خادم فى البيت تردى
ألم تر أن خولة سوف تأتى بوارى الزند صافى الخيم تجدى
يفوز بكنيتى واسمى لائى نخلتهما والمهدى بعدى
يغيب عنهم حتى يقولوا تضمنه بطيبة بطن الحد

ومن ذلك أيضا أنه سمع محدثا يقول إن النبي كان ساجدا فركب
الحسن والحسين على ظهره ، فقال عمر رضى الله عنه : نعم مطيكا فقال
النبي « ونعم الراكبان هما » فقال السيد فى ذلك :

أتى حسينا والحسين النبي وقد جلسا حجرة^(١) يلعبان
فقداهما ثم حياهما وكاتا لديه بذاك المكان
فراحا وتحتهما عاتقا فنعم المطية والراكبان
وليدان امهما برة حصان مطهرة للحصان

(٦) النقائص

وهي القصائد التي تبادلها شعراء الفريقين من الشيعة وخصومهم وكانت مملوءة بالشتائم والسياب ، مفعمة بالألفاظ النابية التي تنفر منها الأسماع . وهي وإن كانت تدخل ضمن الهجاء ، إلا أني آثرت أن أفرد لها مكانا خاصا . لأن الهجاء عند الشيعة تناول الأموات أكثر من الأحياء ؛ تناول أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة بالسب واللعن والتكفير ، ورميهم بالغدر والخيانة واغتصاب حق علي في الخلافة . أما هذه النقائص فكانت هجاء متبادلا بين شاعر وشاعر يطعن أحدهما في أخلاق الآخر وعرضه وشرفه وحسبه ونسبه ، ويتهمه بالفسق والفجور فيرد عليه الآخر ردا فيه فحش وفيه إقذاع . ومن أمثلة ذلك قول كثير وكان يدين بالرجعة

وسطٌ لا يذوق الموتَ حتى يقودَ الخيلَ يقدُّها اللواءُ
تغيَّبَ لا يُرى فيهم زمانا برضوى عنده عسلٌ وماءُ
فأتى علي بن الجهم وقال^(١) :

ورافضةٌ تقولُ بِشِعْبِ رَضْوَى إمامٌ ، خابَ ذلك من إمام
إمامٌ من له عشرون ألفا من الأتراك مُشرعة السَّهام
فرد عليه البحترى بقوله :

إذا ما حُصِّلَتْ عُليا مُقْرِشٌ فلا في العيرِ أنتَ ولا النفيرِ
وما رُغِشَاؤُكَ الجهم بن بدر من الأتراك ثم ولا البدويرِ

ولو أعطاك ربك ما تمنى لزاد الخلق في عظم الأيور
علام هجوت مجتهدا عليا بما لفتت من كذب وزور
أمالك في استيك الوجعاء شغل يكفك عن أذى أهل القبور

كذلك امتازت النقائض بأن الشاعر كان يقول القصيدة ، فسرعان
ما ينبرى شاعر آخر للرد عليه . ومثال ذلك قول أحد شعراء طلحة :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننازل الموت اذا الموت نزل
ننعي ابن عفان بأطراف الأسل ردوا علينا شيخنا ثم يحل
الموت أحلى عندنا من العسل لا عار في الموت إذا حان الأجل
إن عليا هو من شر البدل إن تعدلوا بشيخنا لا يعتدل
فأجابه رجل من أنصار علي :

نحن قتلنا نعتلاً فيمن قتل أكثر من أكثر فيه أو أقل
أني يرد نعتل وقد قتل نحن ضربنا وسطه حتى انجزل
لحكمه حكم الطواغيت الأول آثر بالقيء وجافى في العمل
فأبدل الله به خير بدل إني امرؤ مستقدم غير وكل

ومن هذا النوع أيضا قول الوليد بن عقبة يخاطب أنصار علي
متهما إياهم بالاستيلاء على أسلحة عثمان بن عفان وهو :
بنى هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ولا تنهبوه لا تحل مناهبه

بنى هاشم كيف الهوادة بيننا وعند على درعه ونجائبه
قتلتم أخى كيما تكونوا مكانه كما غدرت يوما بكسرى مرزبه
قال ابن أبي الحديد (١) « فأجابه عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن
عبد المطلب بأبيات طويلة من جملتها :

فلا تسألوا ما سيفكم إن سيفكم أضيع وألقاه لدى الرّوع صاحبه
شبهته كسرى وقد كان مثله شديها بكسرى هنريه وضرائبه (٢)
أى كان كافرا كما كان كسرى كافرا ،

ومنها :

وكان وليّ العهد بعد محمد عليّ وفي كلّ المواطن صاحبه
عليّ وليّ الله أظهر دينه وأنت مع الأشقيين فيمن تحاربه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسق فما لك في الإسلام سهم تطالبه

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١/ ٩٠ .

(٢) أستبعد صدور هذا من ابن أبي سفيان — المؤلف .

الباب الرابع

شعراء الشيعة

بلغ شعراء الشيعة من الكثرة مبلغا عظيما حتى أصبح إحصاؤهم فضلا عن التكلم عنهم من الأمور العسيرة . ولا أستطيع هنا أن أتناول بالدرس كل من عرف بتشيعه من الشعراء ، لأن هذا الكتاب أضيق بكثير من أن يتسع لهذا . إلا أنني أرى لزما على تنمة للبحث أن أتحدث عن بعض شعراء الشيعة متوخيا في ذلك الإيجاز . وسأبدأ بذكر الشعراء الذين عاشوا في أيام الدولة الأموية ثم أتبعهم ببعض من عاشوا في أيام الدولة العباسية . ثم آتى بعد ذلك بذكر شاعر واحد من شعراء الدولة الفاطمية وهو ابن هانيء الأندلسي .

(١) الكميت

هو الكميت^(١) بن زيد الأسدي ينتهي نسبه إلى مضر بن نزار بن عدنان . قال أبو الفرج^(٢) : شاعر مقدم ، عالم بلغات العرب ، خبير

(١) ذكر الأمدى في المؤلف والمخلف أن من يقال لهم الكميت من الشعراء ثلاثة من بني أسد بن خزيمة (أولهم) الكميت الأكبر بن ثعلبة بن يوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقس (والثاني) الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر (والثالث) الكميت ابن ربد الأسدي . والكميت بصغير أكت على غير قياس . والإسم الكمه وهو من الحيل بين الأسود والأحمر .

(٢) الأغانى طبع دار الكتب ج ١٥ ص ١٠٩ .

بأيامها ، من شعراء مضر وألسنتها ، والمتعصبين على القحطانية ، المقارنين
المقارعين لشعرائهم العلماء بالمثالب والأيام المفاخرين بها . وكان في أيام
بنى أمية ، ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها . وكان معروفا بالتشيع
لبني هاشم ، مشهورا بذلك . وقصائد الهاشميات من جيد شعره ومختاره .
مولده : ولد في عام ستين هجرية أيام قتل الحسين . ومات سنة مائة
وست وعشرين هجرية في خلافة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين .

أخلاقه وصفاته : كان الكمية شديد الذكاء ، قوى الحافظة ، سريع
الجواب ، حاضر البديهة ، فصيحاً مفوها ، ملأ بأيام العرب ومناقبها
ومفاخرها ، عليماً بأنسابها . كما كان كريماً ديناً ، وفارساً شجاعاً .

تشييعه : كان الكمية شديد الحب لآل علي ، عظيم الولاء والإخلاص
لهم . آزرهم وناضل عنهم في وقت الشدة ، غير مكترث بسطوة الأمويين
وبأسهم . وقد تعرض في سبيل ذلك للهلاك ، وتحمل اضطهاداً كبيراً
وعناء شديداً . قال الجاحظ « ما فتح للشيعة الحجاج إلا الكمية بقوله :
فَإِنْ هِيَ لَمْ تَصْلُحْ لِحَيِّ سِوَاهُمْ فَإِنَّ ذَوِي الْقُرْبَى أَحَقُّ وَأَوْجَبُ
يَقُولُونَ لَمْ تُورَثْ وَلَوْلَا تُرَاثُهُ لَقَدْ شَرَكْتُ فِيهِ بِكَيْلٍ وَأَرْحَبُ^(١)
وإنك لتجد في شعر الكمية ما يدل على تعلقه الشديد بآل علي .

ومثال ذلك قوله :
بَأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيِّ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهُمْ عَارَا عَلَى وَتَحْسِبُ
فَمَالِي إِلَّا آلُ أَحَدٍ شِيعَةٍ وَمَالِي إِلَّا مَشْعَبُ الْحَقِّ مَشْعَبُ

(١) قيلتان من العرب .

ومن غيرهم أَرْضَى لِنَفْسِي شِيعَةً ومن بعدهم لا من أجل وأَرْجَبُ
إِلَيْكُمْ ذُو آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعَتْ نَوَازِعُ من قلبي ظمأٌ وأَلْبَبُ
فَطَائِفَةٌ^(١) قَدْ كَفَرْتَنِي بِحَبْكُم وطائفة^(٢) قالوا مسيء ومذنبُ
فَمَا سَاءَ نِي تَكْفِيرُ هَاتِيكَ مِنْهُمْ ولا عيب هاتيك التي هي أَعِيبُ
يَعْبُونَنِي مِنْ خِيَبِهِمْ^(٣) وَضَلَّاهُمْ على حبكم بل يسخرون وأُعْجِبُ
وَقَالُوا تَرَانِي^(٤) هَوَاهُ وَرَأَيْهِ بذلك أَدْعَى فِيهِمْ وَأُلْقَبُ
ومنها:

أَلَمْ تَرَنِي فِي حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ أَرْوَحُ وَأَغْدُو خَائِفًا أَتَرَقَّبُ
كَأَنِّي جَانُ مُحَدِّثٍ وَكَأَنَّمَا بهم أَتَقَى من خشية العار أَجْرَبُ
عَلَى أَى جَرَمٍ أَمْ بِأَيَّةِ سِيرَةٍ أَعْتَفُ فِي تَقْرِيطِهِمْ وَأُوَنَّبُ

غضب هشام عليه : ولما هجا الكميث خالد بن عبد الله القسري
عامل هشام على العراقيين ، أراد خالد أن ينتقم فَرَوَى جارية حسناء
قصائده التي قالها في بني هاشم وأَعَدَّهَا لِيَهْدِيهَا إِلَى هِشَام ، وكتب إليه
بأخبار الكميث وبهجائه بنى أمية ، وأنفذ إليه قصيدته التي يقول فيها .
فيارب هل إلّا بك النصرُ يبتغى ويارب هل إلّا عليك المعول
وهي طويلة يرثى فيها زيد بن علي وابنه الحسين بن زيد ويمدح بنى

(١) طائفة الحوارج كانت تكفر كل من يحب عليا . (٢) طائفة الأمويين الذين
كانوا يهتمونه بالنسب والعصا . (٣) الخب : الحب والحداء .
(٤) نسبة إلى أبي تراب وهو لقب علي بن أبي طالب .

هاشم ، قال أبو الفرج « فلما قرأها — يعنى هشاما — أكبرها وعظمت عليه واستنكرها ، وكتب إلى خالد يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده فلم يشعر الكميت إلا والخليل محدة بداره فأخذ وحبس في الحبس .
إلا أن الكميت استطاع أن يهرب من السجن وأقام مدة متواريا حتى ^(١) إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه خرج ليلا في جماعة من بني أسد على خوف ووجل وفيمن معه صاعد غلامه . قال وأخذ الطريق حتى وصل إلى الشام فتوارى في بني أسد وبني تميم ، ثم اختلفت الروايات بعد ذلك في كيفية وصوله إلى هشام . وانتهى أمره بأن نال عفو الخليفة ورضاه ومدحه بقصيدة قيل إنه ارتجلها ومنها .

مَاذَا عَلَيْكَ مِنْ الْوَقْوِ فِيهَا وَإِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرٍ
دَرَجَتْ عَلَيْكَ الْعَادِيَا تِ الرَّائِضَاتُ مِنَ الْأَعَاصِرِ
فَالآنَ صَرْتُ إِلَى أُمِّيَّةٍ وَالْأُمُورُ إِلَى مَصَايِرِ

الهاشميات : وقد جمع شعره الذي قاله في مدح بني هاشم وأطلق عليه « الهاشميات » لأنه احتج فيها لبني هاشم على خصومه وعدد أبياتها خمسمائة وستة وثلاثون بيتا . وقد طبعت في أوروبا ثم في مصر واهتم غير واحد بشرحها ونشرها . ومن قوله في مدح الهاشميين .

وَهُمُ الْآخِذُونَ مِنْ ثِقَةِ الْأَمْرِ بِتَقْوَاهُمْ عُرَى لَا انْقِصَامِ
وَالْمُصِيبُونَ وَالْمُجِيبُونَ لِلدَّعْوَةِ وَالْمُحَرِّزُونَ خَصْلَ التَّرَامِي

وُحِلُّونَ مُحْرَمُونَ مُقَرَّوْنَ نَ لِحِلِّ قَرَارَةٍ وَحَرَامِ
 سَاسَةً لَا كُنْ يَرَى رَعِيَةَ النَّاسِ سَوَاءً وَرَعِيَةَ الْأَنْعَامِ
 لَا كَعَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ كَوَلِيدٍ أَوْ سَلِيمَانَ بَعْدَ أَوْ كَهَشَامِ
 رَأْيُهُ فِيهِمْ كَرَأْيِ ذَوِي الثَّلَاثَةِ فِي الثَّائِبَاتِ جُنَحَ الظَّلَامِ
 يَقُولُ إِنْ بَنَى هَاشِمٌ يَنْظُرُونَ إِلَى النَّاسِ بَعِينَ الْعُطْفِ وَالرَّعَايَةِ ،
 وَيَعْمَلُونَ مَا فِيهِ خَيْرُ الرَّعِيَةِ ، لَا يَدْعُونَهُمْ هَمَلًا كَالْأَنْعَامِ كَمَا يَفْعَلُ الْأُمُويُّونَ
 الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى النَّاسِ نَظْرَ صَاحِبِ الْقَطْعِ الْكَثِيرَةِ إِلَى غَنَمِهِ وَالثَّائِبَاتِ :
 الضَّأْنِ . وَالثَّلَاثَةِ : الْكَثِيرِ مِنَ الضَّأْنِ .

ثم قال :

فَهُمُ الْأَقْرَبُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَهُمْ الْأَبْعَدُونَ مِنْ كُلِّ ذَاإِمٍ
 وَهُمْ الْأَرَأَفُونَ بِالنَّاسِ فِي الرَّأْفَةِ وَالْأَحْلَىونَ فِي الْأَحْلَامِ
 بَسَطُوا أَيْدِيَ النَّوَالِ وَكَفُّوا أَيْدِيَ الْبَغْيِ عَنْهُمْ وَالْعَرَامِ
 أَخَذُوا الْقَصْدَ فَاسْتَقَامُوا عَلَيْهِ حِينَ مَالَتْ زَوَامِلُ الْإِبَائِمِ
 يَمْدَحُ الْهَاشِمِيِّينَ بِقَوْلِهِ إِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ كُلَّ خَيْرٍ ، وَيَتَجَنَّبُونَ كُلَّ شَرٍّ
 وَيَتَبَعَدُونَ عَمَّا يَعَابُ عَلَيْهِ النَّاسُ . وَهُمْ الَّذِينَ يَرَأْفُونَ بِالرَّعِيَةِ وَيَسْعَوْنَ بِهَا
 بِحِلْمِهِمْ وَيَشْمَلُونَهَا بِعُطْفِهِمْ ، وَيَسْبِغُونَ عَلَيْهَا يَدَ الْجُودِ ، وَلَا يَفْكُرُونَ فِي
 الْعَدْوَانِ عَلَى أَحَدٍ ، أَوْ الْبَغْيِ عَلَيْهِ (وَالْعَرَامُ هُوَ الْجَهْلُ) . وَقَدْ اعْتَدَلَ
 الْهَاشِمِيُّونَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَلَزَمُوا جَانِبَ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ حِينَ رَكِبَ غَيْرُهُمْ
 مَتْنُ الشُّطْطِ وَالْبَغْيِ وَالْجُورِ وَالْعُسْفِ ؛ (وَالزَوَامِلُ الْإِبِلُ الَّتِي تَحْمِلُ عَلَيْهَا
 الْحَمُولَةُ ، فَيَكُونُ الشَّاعِرُ قَدْ شَبَّهَ الْآثَامَ بِالزَوَامِلِ) .

ومنها:

خيرُ حَيٍّ ومَيِّتٍ من بنى آ دمَ طُرّاً مأْمُومِهم والإمام
 كان ميتاً جنازةً خيرٍ ميتٍ غَيَّبَتْهُ مَقَابِرُ الأَقْوَامِ
 وجَنِيناً ومُرَضِعاً ساكن المم وبعد الرِّضَاعِ عند الفِطَامِ
 خيرٌ مُسْتَرَضِعٌ وخيرٌ فَطِيمٌ وجنينٌ أُقِرَّ في الأرحامِ
 وغلاماً وناشئاً ثم كهلاً خيرٌ كَهْلٌ وناشئٌ وغلامٌ
 أنقذ الله شِلُوناً من شَفَا الذرِّ به نعمةٌ من المنعمِ
 طيبُ الأصلِ طيبُ العُودِ في البذية والفرعِ يَثْرِي تَهَامِي
 يقول إن بنى هاشم خيرٌ حَيٍّ وخيرٌ ميتٌ سواء في ذلك الإمام
 والمأْمُوم ثم ذكر أن رسول الله كان خير ميت وأكمل إنسان من يوم
 أن كان جنيناً إلى أن انتقل إلى جوار ربه. والشاعر يرجو أن ينجيه الله
 من عذاب النار بشفاعته رسوله. والمنعم هو الله الذي ينعم على عبده
 بالخير والبركات. « والشلو الجلد » ، « والشفا حرف كل شيء » ، ثم قال
 إن الرسول كان طيب الأصل وطيب البلية والتكوين ، طيب الخلق
 والخلق .

أما بعد فقد رأيت كيف كان الكميّ يمدح العلويين وينتصر لهم
 في وقت أوجب الأمويون فيه سب عليٍّ ولعنه ، وتبعوا كل من عرف
 بهواه لآل عليٍّ بالسجن والقتل والتعذيب والاضطهاد والحرمان
 كل شيء ، فكان الناس لا يجرءون على ذكر علي . ولكن بالرغم من

هذا كان الكميت الشاعر الوحيد في عصره الذي استطاع أن يرفع صوته بمدح الهاشميين والدفاع عن حقهم ، والظعن الشديد على الأمويين في غير خوف ولا وجل . ولم يقلع عن هذا إلا فترة قصيرة حين شعر بالخطر فاضطر إلى مدح الأمويين . روى أنه لما حضرته الوفاة فتح عينيه وقال : اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد .

(٢) كثير

هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود . قال أبو الفرج ^(١) « هو من قول شعراء الإسلام ، وجعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم ، وقرن به جريرا والفرزدق والأخطل والراعي . وكان غالبا في التشيع يذهب مذهب الكيسانية ويقول بالرجعة والتناسخ ، وكان مُحققا مشهورا بذلك » . وقال ابن سلام ^(٢) في كتابه طبقات الشعراء « سمعت يونس النحوي يقول كان ابن أبي اسحاق يقول : كان كثير أشعر أهل الإسلام .

أخلاقه وصفاته : كان كثير ساذجا سريع التصديق لكل ما يقال له . وكان كثير التيه بنفسه ، عظيم الخيلاء ، كما كان مفرطاً في القصر دميم الخلقة . قال ابن سلام الجحى « قال يونس النحوي : كثير أشعر أهل الإسلام كان قصيرا مفرط القصر . روى عن الوقاص أنه قال : رأيت

كثيراً يطوف بالبيت ، فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبه ،
وقد هجاه الشاعر المعروف بالحزين الكنانى بقوله :
قصير القميص فاحشٌ عند بيته يَعْصُ القرادُ بِأَسْتِهِ وهو قائمٌ
شاعريته : كان كثير غزير الشعر قويه . ذكر ابن رشيق فى كتاب
العمدة « أن مروان بن أبى حفصة كان يقدم كثيراً فى المدح على جرير
والفرزدق . وقال أبو الفتوح « أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال حدثنى
الزبير بن بكار قال كتب إلى إسحق بن ابراهيم الموصلى حدثنى ابراهيم بن
سعد قال : إني لأروى لكثير ثلاثين قصيدة لو رُقِيَ بها مجنونٌ لأفاق ،
وروى أبو الفرج أيضاً أن ابن أبى عبيدة كان يملئ شعر كثير بثلاثين ديناراً .
تشيعه : كان كثير شديد الحب لآل على ، قضى حياته كلها وهو
معمور القلب بالإخلاص والولاء لهم . روى أنه كان بمكة فأمر بلعن على
فرقى المنبر وأخذ بأستار الكعبة وقال :

ببِياضِ الدِّمَاطِ^(١) من بطن ريم فبِخَفِضِ الشُّجُونِ من^(٢) أَلْجَامِ
أَيُسَبُّ المَطْهَرُونَ أَصُولاً وَالْكَرَامُ الخُتُولُ والأَنْعَامِ
يَأْمَنُ الطَّيْرُ والحِمَامُ ولا يَأْمَنُ آلُ الرُّسُولِ عِنْدَ المَقَامِ
رَحْمَةُ اللهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ كُلَّمَا قَامَ قَائِمُ الأَسْلَامِ
قال أبو الفرج « فلما سمع الناس قوله هذا أنزلوه من المنبر وأتخنوه
ضرباً بالنعال وغيرها فقال :

إِنْ أَمْرًا كَانَتْ مَسَاوِيُهُ حُبُّ النِّبِيِّ لَغَيْرِ ذِي عَثْبِ

(١) الدمات جمع دمت وهو المكان اللين ذو الرمل . (٢) الجام موضع فى المدينة .

وبنى أبى حسنٍ ووالدهم من طاب في الآرحام والصلب
أترون ذنباً أن نسبهم بل حبهم كفارة الذنب

وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد « ومن الروافض كثير عزة الشاعر
ولما حضرته الوفاة دعا ابنة أخ له فقال: يا بنة أخى ، إن عمك كان يحب
هذا الرجل ، فأحييه ، يعنى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، فقالت :
نصيحتك يا عم مردودة عليك ، أحبه والله خلاف الحب الذى أحببته
أنت ، فقال لها : برئت منك . وأنشد يقول :

برئت إلى الآله من ابن أروى^(١) ومن قول الخوارج أجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق^(٢) غداة دعى^(٣) أمير المؤمنين

وقد بلغ من حبه لآل على أنه كان يهب لأطفالهم ما يحصل عليه من
جوائز وصلات ومنح وهبات . قال أبو الفرج « كان كثير شيعيا ، وكان
يأتى ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه ، فيهب لهم الدراهم ويقول :
وأبأبى الأنبياء الصغار ! فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان .
وهو أخوهم لأمهم ياعم : هب لى ، فيقول لا ، لست من الشجرة ،

علاقته بمحمد بن الحنفية : كان عبد الله بن الزبير شديد الوطأة على
العلويين^(٤) يتتبعهم بكل مكروه ، ويغرى بهم على المنابر ويصرح ويعرض
بذكركم ، فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم ، ثم بدا له فحبس ابن الحنفية
في سجن عارم ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بنى هاشم فجعلهم في محبس

(١) ابن أروى : عثمان بن عفان . (٢) عتيق : أبو بكر .

(٣) دعى لغة فى دعى . (٤) الأغاني ج ١٤/٩ .

وملأه خطباً وأضرَم فيه النار . وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجدلي وسائر شيعة محمد بن الحنفية قد وافوا لنصرته ومحاربة ابن الزبير . فكان ذلك سبب إيقاعه به . وبلغ أبا عبد الله الخبر فوافى ساعة أضرمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم وأخرج ابن الحنفية عن جوار ابن الزبير يومئذ فقال كثير في ذلك :

لك الويل من عيني خَيْبٍ وثابتٍ وحمزة أشباهَ الهداءِ ^(١) التوائم
تُخَبِّرُ مَنْ لَا قِيَتَ أَنْكَ عَائِدٌ بل العائدُ المظلومُ في سجنٍ ^(٢) عارم
فمن يرَ هذا الشيخَ بالخيْفِ من مَيٍّ من الناس يَعْلَمُ أَنَّهُ غيرَ ظالمٍ -
تَسِيُّ النَّبِيَّ المصْطَفِيَّ وابنَ عمِّهِ وفَكَاكُ أَغْلَالٍ ونَفَاعُ غَارِمٍ -
أَبِي فَهُوَ لَا يَشْرِي هُدًى بضلالةٍ ولا يَتَّقِي في اللَّهِ لومةَ لائمٍ -
وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ نَتْلُو كتابَهُ حُلُولاً بهذا الخيفِ خيفِ المحارِمِ
بِحَيْثُ الحَمَامُ آمِنُ الرُّوعِ ساكنٌ وحيثُ العدوُّ كالصديقِ المسالمِ
فَمَا فَرَحُ الدُّنْيَا بَبَاقٍ لِأَهْلِهِ ولا شِدَّةُ البَلَوَى بضربةٍ لازمٍ
ومن قوله يمدح محمد بن الحنفية وقد تَلَطَّفَ به ودعاه إليه وسأله عن أبنائه :

أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنِي إِذْ دَعَانِي أَمِينُ اللَّهِ يُلَطِّفُ فِي السُّؤَالِ
وَأَتْنِي فِي هَوَايَ عَلَى خَيْرِهَا وَيَسْأَلُ عَنْ بَنِيَّ وَكَيْفَ حَالِي

(١) خيب وثابت وحمزة أولاد عبد الله بن الزبير : والهداء جمع حداة وهي الطائر - والتوائم جمع توائم . (٢) قوله عائد لُقِّبَ عبد الله بن الزبير لأنه عاذ نالبيت . والمظلوم هو ابن الحنفية وسجن عارم سجن مكة .

وكيف ذكرت حال أبي خبيب وزلة فعله عند السؤال^(١)
هو المهدي خبرناه كعب أخوال الأجباف في الحقب الخوالي
والبيت الأخير يظهر لنا كيف كان الشيعة يستحلون لأنفسهم الكذب
في سبيل تأييد مذهبهم . فأنت ترى كثيراً قد ادعى في هذا البيت أن
كعبا خبره بأن ابن الحنفية هو المهدي المنتظر . فلما قيل له ألقيت كعبا؟
قال : لا ، قيل له : فلم قلت « خبرناه كعب » ؟ قال بالتوهم^(٢)

اعتقاده في ابن الحنفية : كان كثير يقدر ابن الحنفية ويحمله ويرى
أنه هو المهدي المنتظر . ومع أن ابن الحنفية مات سنة ٨١ هـ بالمدينة وصلى
عليه أبان بن عثمان بن عفان ودفن بالقيع ، إلا أن كثيراً رفض كما
رفض غيره ممن يذهب مذهب الكيسانية أن يصدق ذلك ، وظل معتقداً
بأنه حي لم يموت ، يقيم بجبل رضى وعنده غسل وماء وأن الملائكة
تسعى إليه وتراجع الكلام . وهو بين أسد ونمر يحفظانه قال :

ألا إن الأئمة من قرشي ولأه الحق أربعة سواء
على^٣ والثلاثة من بنيهم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيبة كربلاء
تغيب لا يرى عنهم زماناً برضى وعنده غسل وماء
علاقته بأبي هاشم عبد الله : وكان كثير على درجة كبيرة من الغفلة

وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي يعلم ذلك جيداً فكان يضع الأرصاد
على كثير . فلا يزال يوثى بالخبر من عنده ، فيقول إذا لقيه : كنت في

(١) أبو خبيب هو عبد الله بن الزبير .

(٢) الأغاني ٩ / ١٦٠ .

كذا وكنت في كذا ، إلى أن جرى بين كثير وبين رجل كلام فأتى به
أبو هاشم فأقبل به على أدراجة ، فقال له أبو هاشم : كنت الساعة مع
فلان فقلت له كذا وكذا ، وقال لك كذا وكذا ، فقال له كثير : أشهد
أنك رسول الله .

مدحه لآل مروان : وكان كثير مع حبه الشديد لآل علي يمدح آل
مروان ليظفر منهم بالعطايا والمنح . ولا شك في أنه لم يكن صادقا في
مدحهم ، وكان بنو أمية يعلمون منه ذلك ويحتملونه منه لأنه كان يمدحهم
فيحسن مدحهم . قال أبو الفرج ^(١) : « وكان آل مروان يعلمون بمذهبه
فلا يُغيرهم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محله في أنفسهم وعندهم » . وقد
قال له ابن الحنفية : « تزعم أنك من شيعتنا وتمدح آل مروان » قال : « إنما
أسخر منهم وأجعلهم حيات وعقارب ، وأخذ أموالهم » ومن هذا ترى
الفرق عظيما بين كثير والكبيت . فالكبيت عرض نفسه كما مر بنا للهلاك
أما كثير فإنه استطاع أن يجمع بين حبه لآل علي وبين رضا آل مروان
فلم يتعرض لمثل ما تعرض له الكبيت بل عاش آمنا مطمئنا . وقد
رحل إلى العراق وقدم مصر واشتهر بكثرة غزله بحسنة تسعى عزة حتى
قرن بها فأصبح يعرف باسم (كثير عزة)

وفاته : توفي كثير عام ١٠٥ هـ في نفس اليوم الذي توفي فيه عكرمة
مولى ابن عباس . قال أبو الفرج : « فاجتمعت قريش في جنازة كثير ،
ولم يوجد لعكرمة من يحمله . وقيل مات اليوم أفضقه الناس وأشعر الناس »

(٣) العبلى

هو عبدالله بن عمر انتهى نسبه إلى عبدالله بن شمس بن عبد مناف .
فهو أموى النسب ولكنه كان علوى الهوى . ويكنى أبا عدى . وهو كما
قال صاحب الأغاني شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين .

تشيعة : كان أبو عدى محباً لآل على ، مخلصاً فى حبه لهم . وقد جر
عليه هذا سخط الأمويين فاضطهدوه واحتقروه ، وأقصوه عنهم ،
ومنعوا عنه عطاءهم وقد احتمل كل هذا دون أن تلين قناته . قال أبو الفرج
وكان أبو عدى الأموى الشاعر يكره مايجرى عليه بنو أمية من ذكر على
ابن أبى طالب صلوات الله عليه ، وسبه على المنابر ، ويظهر الإنكار لذلك
فشهد عليه قوم من بنى أمية بمكة بذلك ونهوه عنه فانتقل إلى المدينة
وقال فى ذلك .

شَرَدُوا بى عِندَ امْتِدَاحِى عَلِيًّا	ورأوا ذاك فى داءِ دَوِيًّا
فَوَرَبِّى لَا أَرْجُ الدَّهْرَ حَتَّى	تُخْتَلَى ^(١) مُهَجَّتِى بِحِجَى عَلِيًّا
وبفيه لبُّ أَحْمَدَ إِنْى	كُنْتُ أَحَبَّتَهُمْ بِحِجَى النِّيَّا
حُبُّ دِينٍ لَا حُبُّ دُنْيَا وَشِرَالِ	حُبُّ حُبٍّ يَكُونُ دُنْيَاوِيًّا
صَاغَنِي اللَّهُ فِى الذُّوَابَةِ مِنْهُمْ	لَا زَنْبَا وَلَا سَنِيْدَا ^(٢) دَعِيَّا
عَدَوِيًّا خَالِى صَرْحَا وَجَدِّى	عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ أَبَوِيَّا
فَسَوَاءٌ عَلَيَّ لَسْتُ أَبَالِى	عَبْشَمِيًّا دُعِيْتُ أَمْ هَاشِمِيًّا

(١) تقطع مهجتي : يقول إنه يموت على حبهم .
(٢) الدعى بالقوم اللصيق بهم دون أن يكون منهم .

وكان أحيانا يمدح الأمويين لينال منهم شيئا من العطاء ولكنهم كانوا يعرضون عنه ويهملون أمره . وإذا منحوه فالنزر اليسير . لقد مدح هشام بن عبد الملك بقصيدة جاء فيها :

عبد شمس أبوك وهو أبونا لا نناديك من مكان بعيد
والقرابات بيننا واشجات مُحْكَمَاتُ القوي بحبل شديد
وظل العبلى واقفا بباب هشام بينما سائر الناس قد سمح لهم بالدخول
وأخيرا دعى فنهجه هشام قدرا يسيرا من المال لم يرضه لنفسه فانصرف
وقال :

خَسَّ حَظِي أَنْ كُنْتُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ
فَأَفُوزَ الْغَدَاةَ فِيهِمْ بِسَهْمٍ وَأُيَعَّ الْأَبَ الْكَرِيمَ بِلُومٍ
وبنو مخزوم سبقوا أبا عدى فى الدخول على هشام فأجزل لهم العطاء

ولما سقطت الدولة الأموية رثاها بقصيدة قوية جاء فيها :
فبنو أمية خير من وطيء الثرى شرفا وأفضل ساسة أمراؤها

ولما أفضت الدولة إلى بني هاشم وجدوا فى تعقب الأمويين والفتك بهم حتى خشي صاحبنا على حياته من الهلاك إذ أنه أموى النسب كما قدمنا . قال صاحب الأغاني : كان أبو عدى الذى يقال له العبلى يحفوا فى أيام بني مروان ، وكان الأمر فى قتلهم جد إلامن هرب وطار على وجهه نخاف أبو عدى أن يقع به مكروه فى تلك الفورة فتوارى . وأخذ

داود بن علي حرمه وماله ، فهرب حتى أتى أبا العباس السفاح ، فدخل عليه في غمار الناس متنكرا وجلس حَجْرَةً (ناحية) حتى تقوض القوم وتفرقوا وبقي أبو العباس مع خاصته ، فوثب إليه أبو عدى فوقف بين يديه وقال تصيدة جاء فيها :

إلى أهل الرسولِ خدتُ برحلي عذافرةً ترامي بالصَّحاري
ومنها :

أَتَوَخَّذُ نِسْوَتِي وَيُحَازُ مَالِي وَقَدْ جَاهَرْتُ لَوْ أَغْنَى جِهَارِي
وَأَذَعُرُ أَنْ دُعِيتُ لَعَبْدٍ شَيْسٍ وَقَدْ أَمْسَكْتُ بِالْحَرَمِ الصَّوَارِي
بِنَصْرَةِ هَاشِمٍ وَبِحَقِّ صِهْرٍ لِأَحْمَدَ لَفَّهُ طِيبُ النَّجَارِ
وَمَنْزِلُ هَاشِمٍ مِنْ عَبْدِ شَيْسٍ مَكَانُ الْجِيدِ مِنْ عَلِيٍّ الْفِقَارِ
فَقَالَ لَهُ السَّفَاحُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَانْتَسَبَ لَهُ فَقَالَ لَهُ : حَقٌّ لِعَمْرِي أَعْرِفُهُ
قَدِيمًا وَهَوْدَةً لَا أَجْحَدُهَا ، وَكَتَبَ إِلَى دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ بِإِطْلَاقِ مَنْ حَبَسَهُ مِنْ
أَهْلِهِ وَرَدَّ أَمْوَالَهُ عَلَيْهِ وَإِكْرَامِهِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِنَفَقَةِ تَوْصِلُهُ الْمَدِينَةَ ،^(١)

غَضِبَ الْمَنْصُورُ عَلَيْهِ : وَلَكِنْ الْمَنْصُورُ سَمِعَ بِقَصَائِدِهِ الَّتِي يَرْتِي بِهَا
بَنِي أُمَيَّةَ فَاسْتَقْدَمَهُ إِلَى تَحْرِهِ وَاسْتَلْشَدَهُ تِلْكَ الْقَصَائِدَ فَقَالَ لَهُ : اعْفُفْ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنْ لِلْمَنْصُورِ أَبِي إِعْفَاءِهِ ، فَأَنْشَدَ إِحْدَى هَذِهِ الْقَصَائِدِ
بَعْدَ أَنْ أَمَنَهُ الْمَنْصُورُ عَلَى حَيَاتِهِ ، حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ :
فَبَنُو أُمَيَّةَ خَيْرٌ مِنْ وَطَنِي الثَّرَى شَرَفًا وَأَفْضَلُ سَاسَةٍ أَمْرَاؤُهَا
قَالَ لَهُ : أَخْرِجْ عَنِّي لَا قَرَبَ اللَّهِ دَارَكَ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى إِذَا جَاءَ

المدينة وجد محمد بن عبد الله بن حسن قد خرج على المنصور فانضم إليه وبايعه . وكان محمد بن عبد الله شديد الميل للعبلى ، فعينه واليا على الطائف فذهب إليها وأقام بها حتى انهزم محمد بن عبد الله فشرع صاحبنا بالكارثة التي تعرض لها فهرب إلى اليمن .

(٤) السيد الحميرى

هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى ، يكنى أبا هاشم ويلقب بالسيد . وهو يبنى من حمير . قال :
إني امرؤ حميرى غير مؤتَشِبٍ جَدِّى رُعَيْنٌ واخوالى ذوو يَزَن
ثم الولاء الذى أرجو النجاة به يوم القيامة للهادى أبى الحسن
مولده : ولد السيد الحميرى من أبوين إباحيين^(١) بالبصرة عام ١٠٥ هـ
فى نفس السنة التى مات فيها كثير . وكان أبواه يكفران عليا ويسبانه .
روى الأصفهاني^(٢) عن اسماعيل بن الساجر راوية السيد أنه قال : كنت
عنده يوما فى جناح له ، فأجال بصره ثم قال ، : يا اسماعيل ، طال والله
ما شتم أمير المؤمنين علىّ فى هذا الجناح . قلت : ومن كان يفعل ذلك ؟
قال : أبواى ، وفى ذلك يقول :

لعن الله والدى جميعا ثم أصلاهما عذاب الجحيم
شاعريته : والسيد الحميرى شاعر مفلق مطبوع ، جيد الشعر
إلى أبعد حد ، كثير القصيد . قال الجاحظ فى كتاب البيان^(٣) والتبيين

(١) قوم من الخوارج يسبون عليا ويكفرونه .

(٢) الأغاني . (٣) البيان والتبيين ج ١ / ٥٤ .

« والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي ، والسيد الحميري ، وأبو العتاهية وابن أبي عيينة ، وقال أبو الفرج « وكان شاعرا متقدما مطبوعا ، يقال بأن أكثر الناس شعرا في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد ، فإنه لا يعلم أن أحدا قدر على تحصيل شعر أحد منهم » وكان الأصمعي يقول « لولا مذهبه ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقة » .

وبحسب الآن نقرأ كثيرا لأبي العتاهية ، ولكننا لا نكاد نجد شيئا نقرأه للسيد ، فقد ضاع شعره ، وماتت شهرته ، واندثرت أخباره وقبره في زوايا النسيان ، وذلك لأن شعره حوى كثيرا من السب للصحابه فهجره الناس خوفا على أنفسهم من الكفر . قال صاحب الأغاني : « وإنما مات ذكره ، وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه في شعره ، وما يستعمله من قذفهم والطعن عليهم فتحومى شعره من هذا الجنس وغيره لذلك وهجره الناس تحوفا وتوقيا » .

تشيعه : نشأ السيد الحميري في بيت كثر فيه سب على ولعنه ، فلم يسلك مسلك أبويه في هذا ، بل مال بطبيعته إلى آل علي ، وأحبهم حبا شديدا وأخلص في حبه ، وأفرط في ولائه . وقد عرف أبواه ذلك منه فهما بقتله . وكان على مذهب الكيسانية يدين برجعة محمد بن الحنفية . قال الشهرستاني^(١) عند الكلام عن محمد بن الحنفية « كان السيد الحميري

يعتقد أنه لم يمت وأنه في جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه وعنده
عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ، ويعود بعد الغيبة فيملاً الأرض
عدلاً كما ملئت جوراً ، وقال صاحب فوات الوفيات « كان رافضياً
زائغاً عن القصد له مدائح جمّة في آل البيت » . وقال ابن حزم^(١) « ومنهم
من قال بنبوته « أى على بن أبى طالب ، وبتناسخ الأرواح ومنهم السيد
الحميرى » . والرأى عندى أن ابن حزم لم يوفق إلى الصواب فيما ذكر عن
السيد ، فأخبار هذا الشاعر وقصائده التى وصلت إلينا لا تؤيد قول
ابن حزم فيه بل هى تثبت إثباتاً قاطعاً أن السيد كان يؤمن بعلى كوصى
للرسول وكخليفة له بالنص وأن من خالف أمر الرسول فقد كفر ،
ولهذا انهمال على بعض الصحابة ممن ناهضوا علياً بالطعن والسب واللعن .

عاش السيد طوال حياته يشيد بمناقب آل البيت ، ويزود عنهم ،
ويدافع عن حقوقهم المهضومة ، وكان قويا في دفاعه ، جريئاً في إظهار
حبه وإخلاصه . وقد بلغ به حبه لآل على أنه كان إذا رأى رجلاً ينال
منهم لا يتأخر عن قتله إن استطاع إلى ذلك سبيلاً . روى أنه كان
مسافراً إلى الأهواز على ظهر سفينة ، وكان معه رجل أظهر بغضه
لعلى ، فلما كان الليل قام هذا الرجل ووقف على حرف السفينة ليبول ،
فما كان من السيد الحميرى إلا أن دفعه فهوى المسكين في الماء وغرق .
وسمع مرة رجلاً ينالهم من عثمان فقال :

شَفِيتَ من نَعَثٍ في نَحْتِ أَثْلَتِهِ فاعْمَدْ هُدَيْتَ إلى نَحْتِ الغَوِيَّينِ
اعْمَدْ هُدَيْتَ إلى نَحْتِ اللّٰذِينَ هَمَا كَانَا على الشَّرِّ لو شَاءَا غَنِيَّينِ

وقال وهو يحتضر :

بَرَّثْتُ إِلَى الْإِلَهِ مِنْ ابْنِ أَرْوَى وَمِنْ دِينِ الْخَوَارِجِ أَجْمَعِينَ

وكان السيد كما رأيت مما تقدم يدين بإمامة محمد بن الحنفية ويعتقد أنه هو المهدي المنتظر . فهو من هذه الناحية يتفق مع كثير في المذهب ، ونتج عن هذا أن بعض أشعار أحدهما تنسب للآخر . وللسيد الحميري قصيدة جيدة خاطب فيها ابن الحنفية مستعجلا عودته لأنه غاب ستين عاما ، وقد أضر غيابه بقومه . قال :

أَطَلْتَ بِذَلِكَ الْجَبَلِ الْمَقَامَا	أَلَا قُلْ لِلْوَصِيِّ فَدَتِكَ نَفْسِي
وَسَمَّوكَ الْخَلِيفَةَ وَالْإِمَامَا	أَضْرَ بِمَعْشِرٍ وَالْوَكْ مَنَا
مَقَامُكَ عَنْهُمْ سِتِّينَ عَامَا	وَعَادَ وَافِيكَ أَهْلَ الْأَرْضِ طَرَا
وَلَا وَارَتْ لَهُ أَرْضٌ عَظَامَا	وَمَا ذَاقَ ابْنُ خَوْلَةٍ طَعْمَ مَوْتٍ
تَرَا جَعُهُ الْمَلَائِكَةُ الْكَلَامَا	لَقَدْ أَوْفَى بِمُورِقِ شَعْبٍ رَضَوِي
وَأَنْدِيَّةٌ تَحْدِثُهُ كِرَامَا	وَإِنْ لَهُ بِهِ لَمَقِيلَ صَدَقِ
بِهِ وَلَدِيهِ نَلْتَمِسُ التَّمَامَا	هَدَانَا اللَّهُ إِذْ جُزِّمَ لِأُمْرِ
تَرَوْا رَايَاتِنَا تَتَرَى نِظَامَا	تَمَامَ مَوَدَةِ الْمَهْدِيِّ حَتَّى

وقد نسب الدكتور طه^(١) حسين بك هذه القصيدة إلى كثير . قال « وأنا أروى لك شيئا من شعر كثير فيها « الرجعة » فانظر إلى هذه الأبيات الجيدة التي يتعجل بها عودة ابن الحنفية إلى الأرض ليرفع فيها لواء بني هاشم » ثم أورد القصيدة السالفة وعلق عليها بقوله « ولعلك

(١) حديث الأربعاء ١ - ٣٦٥ .

تلاحظ معي أن غياب محمد بن الحنفية وإن كان أضر بقوم فليس كثير من هؤلاء القوم . . ولكن نسبة هذه القصيدة إلى كثير خطأ شنيع لأن نظرة بسيطة فيها تنفي نسبتها إلى كثير نفيًا باتًا . أنظر إلى ما ورد فيها .

وعادوا فيك أهل الأرض طرا مقامك عنهم ستين عاما
فإذا كان محمد بن الحنفية مات عام ٨١ هـ لزم أن يكون قائل هذا
الشعر موجودا في عام ١٤١ هـ . ومن حيث إن كثيرا مات في عام ١٠٥ هـ
ولم يعيش ستين عاما بعد ابن الحنفية ، فمن المؤكد أنه لم يقل هذا الشعر .

كان السيد لا يسمع بمنقبة لعل إلا نظم فيها شعرا . وحدث أنه
كان في مجلس ونسب إليه الرفض فأنكر ، فطلب منه بعض الحاضرين
أن يمدح أبا بكر وعمر . فقال في ذلك مشيرا إلى حادثة غدير خم ،
وقد سبق أن تكلمنا عنها عند الشعر المنسوب إلى الإمام علي .

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمد	ولا عهده يوم الغدير المؤكدا
فإني كمن يشري الضلالة بالهدى	تنصر من بعد الثقي وتهودا
ومالي وقيم أو عدى وإنما	أولو نعمتي في الله من آل أحمدا
تتم صلاتي بالصلاة عليهم	وليست صلاتي بعد أن أتشهدا
بكاملة إن لم أصل عليهم	وأدع لهم ربا كريما ممجدا
بذلت لهم ودي ونصحي ونصرتي	مدى الدهر ما سمييت يا صاح أحمدا
وإن أمرا يلحن على صدق ودهم	أحق وأولى فيهم أن يفندا
فإن شئت فاختر عاجل الغم ضلة	وإلا فأمسك كي تصان وتحمدا

ثم نهض مغضبا .

وسمع السيد مرة رجلا يقول : أشعر الناس من قال :

محمد خير من يمشى على قدمي وصاحبه عثمان بن عفان

فوثب السيد وقال : أشعر والله منه الذي يقول :

سائل قريشا إذا ما كنت ذاعمه من كان أثبتها في الدين أو تادا

من كان أعلمها علما وأحكمها حلما وأصدقها قولاً وميعادا

إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسي إن أنت لم تلق للأبرار حسادا

وكان السيد يجلس مع قوم أخذوا يتحدثون عن الزرع والنخل ،

فهم بالانصراف فسئل عن سبب ذلك فقال .

إني لا أكره أن أطيل بمجلس لا ذكر فيه لفضل آل محمد

لا ذكر فيه لأحمد ووصيه وبينه ذلك مجلس نطف ندى

إن الذي ينسأهم في مجلس حتى يفارقه لغير مسدد

ومن قوله في محمد بن الحنفية .

يغيب عنهم حتى يقولوا تضمته بطيبة بطن لحد

سين وأشهرا ويرى برضوى بشعب بين أنمار وأسد

مقيم بين آرام وعين وحفان تروح خلال ربذ

تراعيها السباع وليس منها ملاقين مفترسا بحد

أمن به الردى فرتعن طورا بلا خوف لدى مرعى وورد

حلفتُ برب مكة والمصلّى وبيت طاهر الأركان فرد
يَطوفُ به الحجيجُ وكلَّ عام يحلُّ لديه وقدَّ بعد وقد
لقد كان ابنُ خولة غير شكِّ صفاء ولايتي وخلوص ودّي
فما أحدٌ أحبُّ إليَّ فيما أُسرُّ وما أبوحُ به وأبدي.

وهي طويلة ترى فيها خيالا ممتعا أخذ ينمو يوما بعد يوم حتى
أصبح عند عامة المسلمين حقائق لا تقبل الشك ولا يأتيها الباطل .

مدحه للعباسيين : ولما كان السيد يؤمن برجعة ابن الحنفية ، لم يجد
بأسا في مدح العباسيين ، فقال فيهم القصائد الرائعة ، ونال منهم الجوائز
والصلوات . وكان العباسيون يعرفون أنه غير صادق في مدحهم لكنهم
كانوا يتغاضون عنه . وقد كان لا يرى مانعا من كسب عطف العباسيين
وانتظار ساعة الفرج والخلاص ، تلك الساعة التي اشتاق كثيرا إليها ،
وهي التي يرجع فيها محمد بن الحنفية يقدمه اللواء ، ليملا الأرض عدلا
وصلاحا كما ملئت جورا وفسادا . وهو في موقفه من العباسيين يشبه
تماما موقف كثير من الأمويين .

وفاته : توفي السيد ببغداد عام ١٧٣ هـ في أوائل خلافة الرئيد .

(٥) دعبل الخزاعي

هو دِعْبِلُ بن علي بن رزين بن سليمان ، ويكنى أبا علي . ينتهي نسبه إلى خزاعة فهو يمني ولذلك كان يتعصب لليمانية .

مولده : ولد عام ١٤٨ هـ ببلدة الطيب وهي بين واسط وبغداد .

شاعريته : قال ابن خلكان « كان شاعرا مجيدا ، إلا أنه كان بذىء اللسان ، مولعا بالهجو والخط من أقدار الناس ، وقال أبو الفرج ^(١) » شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان ، وهو تلميذ مسلم بن الوليد الأنصاري وعليه تخرج . وكان البحتري يفضلُه على مسلم . قال « دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم » فقليل له : وكيف ذاك ، قال « لأن كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم ^(٢) » .
أخلاقه وصفاته : كان دعبل هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ، ولا من الوزراء ولا من أولادهم ولا ذو نباهة أحسن إليه أم لم يحسن ولا أفلت منه كبير أو عظيم . هجا الرشيد والمأمون والمعتصم . وكان كثير الأسفار ، أقام مدة ببغداد ثم رحل منها إلى دمشق ومصر كما سافر إلى خراسان .

تشييعه : قال أبو الفرج « وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل إلى علي صلوات الله عليه ، وقد نظم قصيدة في مدح آل البيت تعتبر من أحسن الشعر وأسنى المدائح ، قصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان

(١) الأعاني ج ٢٩/١٨ .

(٢) الأعاني ج ٣٧/١٨ .

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وخلع عليه بردة من ثيابه فسمع بذلك أهل بلدة قم « وهى بين خراسان والعراق ، فقصدوا دعبلا وعرضوا عليه أن يبيعهم هذا الثوب بثلاثين ألف درهم فأبى فألحوا عليه ولكنه أمعن فى الإباء ، ففكروا فى أن يأخذوه غصبا ، عندئذ اضطر إلى إجابتهم إلى ما طلبوا على أن يعطوه كما يضعه فى كفته . وقد قيل إنه كتب هذه القصيدة فى ثوب وأحرم فيه وأوصى أن يكون فى أكفانه . قال ياقوت : « ونسخ هذه القصيدة مختلفة فى بعضها زيادات يظن أنها مصنوعة ألحقها بها أناس من الشيعة ، وإنا موردون هنا ما صح منها . قال :

مَدَّ أَرِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ	ومنزُلٌ وحيٌ مُقْفَرُ العَرَصَاتِ
لَا لِرَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَيِّ	وبالرُكْنِ والتَّعْرِيفِ والجَمَرَاتِ
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ	وحَمَزَةِ وَالسَّجَادِ ^(١) ذِي الثَّنَاتِ
دِيَارُ عَفَاها كُلَّ جَوْنٍ مُبَاكِرٍ	وَلَمْ تَعْفُ لِلْأَيَّامِ وَالسَّنَوَاتِ
قِفَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا	مَتَى عَهْدُهَا بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاتِ
وَأَيْنَ الْأُولَى شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى	أَفَانِينَ فِي الْآفَاقِ ^(٢) مُفْتَرَقَاتِ
هُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ النَّبِيِّ إِذَا اعْتَرَوْا	وَهُمْ خَيْرُ قَادَاتٍ وَخَيْرُ حِمَاةٍ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا حَاسِدٌ وَمُكَذِّبٌ	وَمُضْطَغِنٌ ذُو إِحْتَةٍ وَتِرَاتِ
إِذَا ذَكَرُوا قَتْلَى بَيْدَرٍ وَخَيْرٍ	وَيَوْمَ حُنَيْنٍ أَسْبَلُوا الْعَبْرَاتِ
قُبُورُهُ بِكُوفَاتٍ وَأُخْرَى بِطَيِّبَةٍ	وَأُخْرَى بِفَخٍّ نَالَهَا صَلَوَاتِي

(١) هو على بن عبد الله بن العباس سمي بذلك لكثرة السجود يريد أن ركنته تأثرتا

بالسجود .

(٢) شطت بعدت وأفانين حال مما قبله .

وقبرٌ ببغدادٍ لِنَفْسٍ زَكِيَّةٍ .
 فَأَمَّا الْمُصِصَّاتُ الَّتِي لَسْتُ بِالْعَا
 إِلَى الْحَشْرِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ قَائِمًا
 نَفُوسُ لَدَى النَّهْرَيْنِ مِنْ أَرْضِ كَرْبَلَا
 تَقْسَمُهُمْ رَبُّ الزَّمَانِ كَمَا تَرَى
 سِوَى أَنْ مِنْهُمْ بِالْمَدِينَةِ عُصْبَةٌ
 قَلِيلَةٌ زُوَّارٍ سِوَى بَعْضِ زُورٍ
 لَهُمْ كُلَّ حِينٍ نَوْمَةٌ بِمُضَاجِعٍ
 وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَأَهْلِهَا
 تَنَكَّبُ لِأَوَاءِ^(١) السَّنِينِ جَوَارُهُمْ
 إِذَا وَرَدُوا خَيْلًا تَشْمَسُ بِالْقَنَا
 وَإِنْ فَخَرُوا يَوْمًا أَتَوْا بِمُحَمَّدٍ
 مَلَامِكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ
 تَخَيَّرْتُهُمْ رُشْدًا لِأَمْرِي فَإِنَّهُمْ
 فَيَا رَبِّ زِدْنِي مِنْ يَقِينِي بِصِيرَةٍ
 بِنَفْسِي أَنْتُمْ مِنْ كَهُولٍ وَفِتْنَةٍ
 أَحِبُّ قِصَى الرَّحْمَنِ مِنْ أَجْلِ حُبِّكُمْ

تَضْمَنَهَا الرَّحْمَنُ فِي الْغُرُفَاتِ
 مَبَالِغَهَا مِثِّي بَكُنْهِ صِفَاتِ
 يُفَرِّجُ مِنْهَا الْهَمَّ وَالْكَرْبَاتِ
 مُعَرِّسُهُمْ فِيهَا بِشَطِّ فُرَاتِ
 لَهُمْ عُحْمَرَةٌ مَغْشِيَةٌ الْحُجُرَاتِ
 مَدَى الدَّهْرِ أَنْضَاءٌ عَنِ الْأَزْمَاتِ
 مِنَ الضَّبْعِ وَالْعِقْبَانِ وَالرَّخَمَاتِ
 لَهُمْ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مُحْتَلِفَاتِ
 مَغَاوِيرُ^(٢) يُخْتَارُونَ فِي السَّرَوَاتِ
 فَلَا تَصْطَلِيهِمْ بَجَرَّةُ الْجَمَرَاتِ
 مَسَاعِرُ بَجَرِ الْمَوْتِ وَالْفَعْرَاتِ
 وَجَبْرِيلَ وَالْفِرْقَانِ ذِي السُّورَاتِ
 أَجْبَى مَا عَاشُوا وَأَهْلُ يُثْقَاتِي
 عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرَةٌ الْخَيْرَاتِ
 وَزِدْ حُبَّهُمْ يَا رَبِّ فِي حَسَنَاتِي
 لِفَكَ عُنَاةٍ أَوْ لِحَمَلِ دِيَاتِ
 وَأَهْجُرْ فِيكُمْ أَسْرَتِي وَبَنَاتِي

(١) مغاوير جمع مغوار : المقاتل الكثير العاراب .

(٢) اللائواء : الشدة وضيق العيش .

وَأَكْتُمُ حَيِّكُمْ مَخَافَةَ كَاشِحٍ
لَقَدْ حَفَّتْ الْأَيَّامُ حَوْلِي بِشَرِّهَا
أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ يُحَفُّ جُسُومَهُمْ
بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةً
إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ
قُلُوبُ لَا الذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْغَدِي
خُرُوجِ إِمَامٍ لَا مَحَالَةَ خَارِجٍ^(١)
يُمَيِّزُ فِينَا كُلَّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ
سَأَقْصُرُ نَفْسِي جَاهِدًا عَنْ جَدِّهِمْ
فِيَا نَفْسَ طَيْسِي وَيَا نَفْسَ أَبْشَرِي
فَإِنْ قَرَّبَ الرَّحْمَنُ مِنْ تِلْكَ مُدَّتِي
شَفِيتُ وَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِي رِزْيَةً
أَحَاوَلُ نَقْلَ الشَّمْسِ مِنْ مُسْتَقَرِّهَا
فَمَنْ عَارَفٍ لَمْ يَنْتَفِعْ وَمُعَانِدٍ
قُصَارَايَ مِنْهُمْ أَنْ أُمُوتَ بِغُصَّةٍ
كَأَنَّكَ بِالْأَضْلَاعِ قَدْ ضَاقَ رَحْبُهَا

عَنِيْدٍ لِأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرِ مُوَاتٍ
وَلَا نِيْ لِأَرْجُو الْآمَنَ بَعْدَ وَفَائِي
وَأَيْدِيهِمْ مِنْ فِيْهِمْ صَفِرَاتٍ
وَالْ زِيَادِ حَفْلٍ^(٢) الْقَصْرَاتِ
وَالْ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْقَلَوَاتِ
أَكْفَا عَنْ الْاَوْتَارِ مُنْقِبَاتِ
لَقَطَعَ قَلْبِي إِتْرَهُمْ حَسْرَاتِي
يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ
وَيَجْزِي عَلَى النِّعَمَاءِ وَالنَّقِمَاتِ
كَفَائِي مَا أَلْقَى مِنَ الْعِبَرَاتِ
فَغَيْرُ بَعِيْدٍ كُلُّ مَا هُوَاتِ
وَأَخَرُ مِنْ عُمرِي لِطُولِ حَيَاتِي
وَرَوَيْتُ مِنْهُمْ مِنْهُلِي وَقَاتِي
وَأَسْمِعُ أَحْجَارًا مِنَ الصَّلَاتِ
يَمِيلُ مَعَ الْاَهْوَاءِ وَالشُّبُهَاتِ
تَرَدَّدُ بَيْنَ الصَّدْرِ وَاللَّهَوَاتِ
لَمَّا ضَمَنْتُ مِنْ شِدَّةِ الزَّفَرَاتِ

(١) جمع قصرة وهي العنق .

(٢) خارج صفة لامام وخبر لا محذوف تقديره واقع

فأنت تلبح في هذه القصيدة أن دعبلًا كان يرى رأى كثير والسيد
الخميري من أن هناك إماما سيرجع ويقوم على اسم الله والبركات ، يزيل
ما وقع على العلويين من ظلم واضطهاد ، وينتقم من أعدائهم شر انتقام .
وكان دعبل يعلل نفسه بهذه الآمال ويعزيها ويواسيها بخروج إمام لا محالة
خارج . ولم يسلك دعبل سبيل كثير والسيد الخميري في هجاء الصحابة
وسبهم ، بل اكتفى بمدح العلويين والطعن في أعدائهم من أمويين
وعباسيين . وقد بكى على بن موسى الرضا بكاء شديدا حينما أنشده
دعبل هذه القصيدة ، وتجلى حزنه وجزعه ، وارتفع عويل النساء
وصياحهم فكان من هذا منظر مؤثر . وفي هذه القصيدة يقول أبو الفرج^(١)
« وقصيدته مدارس آيات خلت من تلاوة . من أحسن الشعر وفاخر
المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السلام » . وقال ياقوت (قصيدته التائية
في أهل البيت من أحسن الشعر وفاخر المدائح)

وفاته : وظل دعبل طول حياته مرهوب اللسان ، خائفا من هجائه
الخلفاء ، فقضى دهره كله هاربا متواريا . . . كان يقول « أنا أحمل خشيتي
على كتفي منذ خمسين سنة لست أجد أحدا يصلبني عليها »
مات سنة ٢٤٦ هـ

(٦) ابن الرومي

هو علي بن العباس . ولد ببغداد عام ٢٢١ هـ وتوفي بها عام ٢٨٤ هـ فأدرك ثمانية خلفاء من بني العباس . وكانت الخلافة العباسية في تلك الأيام قد سقطت مكانتها إلى الحضيض . ورالت هيبتها وانعدم نفوذ الخلفاء وانحلت الامبراطورية الإسلامية وقامت على أنقاضها دول مستقلة شاعريته: كان ابن الرومي قوى الشاعرية ، يعوص على المعاني غوصا ويأتى بما يتير الإعجاب في النفوس . وقد ترك شعراً كثيراً جمع في ديوان ضخم .

أخلاقه وصفاته: كان ابن الرومي يتطير ويفرط في التطير وقد عرف أصحابه منه ذلك فركبوه بالدعابة والسخرية . وكان ابن الرومي جريئاً جداً في هجاء الأمراء والوزراء والعظماء ، لم يسلم من لسانه أحد من معاصريه . وبينه وبين دعبل شبه كبير في هذا الباب .
ثقافته وتهذيبه: أخذ ابن الرومي بقسط وافر من العلوم والمعارف فألم بالفلسفة إلماماً جيداً ظهر أثره في شعره كما ألم بقسط وافر من الشعر وحفظ القرآن في صباه ، ووعى قدراً وافراً من التاريخ والأدب .

تشيعة: كان ابن الرومي محباً لآل علي . وقد ورث هذا الحب عن أبويه ، فقد كانت أمه من أصل فارسي والفرس بطبيعتهم ميالون إلى آل علي . وسمى علياً وهو أحب اسم عند الشيعة . ولذلك نشأ على ما نشأ عليه أبواه من ولاء وإخلاص لآل البيت وكان غاضباً على العباسيين ، ساخطاً عليهم ، يتمنى زوالهم ويشتهى ذهابهم ، ويؤمل أن تقوم على

أنقاض الخلافة العباسية خلافة علوية . وله قصيدة جيمية يرثى بها يحيى بن عمر بن حسين بن علي . وكان قد ثار في وجه العباسيين ، بعد أن حرمه العباسيون من المال حتى أملق إملاقاً شديداً وعانى شظف العيش وقسوة الفقر . وكان يحيى محبوباً من الناس لما امتاز به من صفات حميدة ، وخلال كريمة . وقد هزم وقتل وحملت رأسه إلى بغداد وعلقت على عمود ، فلما رآها البغداديون هموا بالثورة فبادر أولو الأمر بإنزالها ، وقد ثار خاطر ابن الرومي وعظم ألمه لما يقع على آل البيت من نكبات جسام من حين إلى حين ، فجادت قريحته بقصيدة في منتهى القوة والروعة نذكر منها :

أَمَّا مَكَ فَاَنْظُرْ أَيَّ نَهْجِيكَ تَنْهَجُ	طَرِيقَانِ شَتَّى ، مُسْتَقِيمٌ وَأَعْوَجُ
أَلَا أَتَيْهَذَا النَّاسَ طَالَ ضَرِيرُكُمْ	بِالِ رَسُولِ اللَّهِ فَاخْشَوْا وَارْتَجُّوا
أَكُلُ أَوَانٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ	قَتِيلُ زَكِيٍّ بِالدِّمَاءِ مُضَرَّجُ
تَتَّبِعُونَ فِيهِ الدِّينَ شَرَّ أُمَّةٍ	فَلِلَّهِ دِينُ اللَّهِ قَدْ كَادَ يَمْرُجُ
بَنِي الْمِصْطَفَى ! كَمْ يَا كُلُّ النَّاسِ شِلُوكُمْ	لِبَلَّوْاكُمْ — عَمَّا قَلِيلٍ — مُفَرَّجُ
أَمَّا فِيهِمْ رَاعٍ لِحَقٍّ نَبِيِّهِ	وَلَا خَائِفٌ مِنْ رَبِّهِ يَتَحَرَّجُ
أَلَا خَابَ مِنْ أَنْسَاءِ مِنْكُمْ نَصِيهِ	مَتَاعٌ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَزَبْرَجُ
أَبْعَدُ الْمَكْنَى بِالْحُسَيْنِ شَهِيدَكُمْ	تَضِيءُ مَصَابِيحُ السَّمَاءِ فَتُسَرَّجُ
وَكَيْفَ تُبْكِي فَائِزًا عِنْدَ رَبِّهِ	لَهُ فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ عَيْشٌ ^(١) مُخَرَّجُ
وَقَدْ نَالَ فِي الدُّنْيَا سَنَاءً وَصِيَّةً	وَقَامَ مَقَامًا لَمْ يَقْمَهُ مُزَلَّجُ
فَإِنْ لَا يَكُنْ حَيًّا لِدُنْيَا فَإِنَّهُ	لَدَى اللَّهِ حَيٌّ فِي الْجَنَانِ مُزَوَّجُ
وَكُنَّا نُرْجِيهِ لِكَشْفِ عَمَائِيَّةٍ	بِأَمْثَالِهِ أَمْثَالُهَا تَتَبَّلَجُ

أَيُّتُ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ كَأَنَّمَا
أُبْحِي الْعَلَى لِذِكْرِكَ لَهْفَةً
أَحِينَ تَرَاءَتِكَ الْعَيُونُ جَلَاءَهَا
نَفْسِي وَإِنْ فَاتَ الْفِدَاءُ بِكَ الرَّدَى
لِمَنْ تَسْتَجِدُّ الْأَرْضُ بَعْدَكَ زِينَةً
سَلَامٌ وَرِيحَانٌ وَرَوْحٌ وَرَحْمَةٌ
وَلَا بَرَحَ الْقَاعِ الَّذِي أَنْتَ جَارُهُ

ومنها في الطعن على العباسيين :

اجْتَنُوا بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ شَنَائِكُمْ
وَوَلُّوا وَلَاةَ السَّوْءِ مِنْكُمْ وَغِيهِمْ
نَظَارِ لَكُمْ أَنْ يُرْجَعَ الْحَقُّ رَاجِعٌ
عَلَى حِينٍ لَا عُدْرَى لِمُعْتَدِرِكُمْ
فَلَا تَلَقَّحُوا الْآنَ الضَّغَائِنَ بَيْنَكُمْ
غُرِّرْتُمْ لِأَنْ صَدَّقْتُمْ أَنْ حَالَةً
لَعَلَّ لَكُمْ فِي مُنْطَوَى الْغَيْبِ ثَأْرًا
بِمَجْرِ تَضْيِيقِ الْأَرْضِ مِنْ زَفَرَاتِهِ
إِذَا شِيمَ بِالْأَبْصَارِ أَبْرَقَ بَيْضُهُ
يُؤَيِّدُهُ رَكْنَانِ ثُبَّتَانِ ، رَجُلَةٌ
عَلَيْهَا رِجَالٌ كَالْيُوثِ بِسَالَةٍ

وَأَوْكُوا عَلَى مَا فِي الْعُبَابِ وَأَشْرِجُوا
فَأَحْرِبِهِمْ أَنْ يَغْرُقُوا حَيْثُ لَجَّجُوا
إِلَى أَهْلِهِ يَوْمًا فَتَشَجُّوا كَمَا شَجُّوا
وَلَا لَكُمْ مِنْ حِجَّةِ اللَّهِ مَخْرَجٌ
وَبَيْنَهُمْ إِنَّ اللَّوَايِحَ تَنْشِجُ
تَدُومُ لَكُمْ ، وَالْدَّهْرُ لَوْ نَانَ أَخْرَجُ
سَيَسْمُو لَكُمْ وَالصَّبْحُ فِي اللَّيْلِ مُوجُ
لَهُ زَجْلٌ يَنْفِي الْوَحُوشَ وَهَزْمَجُ
بَوَارِقَ لَا يَطِيعُهُنَّ الْمُجَمَّعُ
وَخَيْلٌ كَالرِّسَالِ الْجَرَادِ وَأَوْشَجُ
بَأَمْثَالِهَا يُثْنَى الْآبَى فَيَنْجَعُ

تَدَانُوا فَمَا لِلنَّفْعِ فِيهِمْ خِصَاصَةٌ تَنَفَّسَ عَنْ خِيْلِهِمْ حِينَ تَرَهَّجُ
فِي دَرْكِ ثَارِ اللَّهِ أَنْصَارُ دِينِهِ وَلِلَّهِ أَوْسُ آخِرُونَ وَخَزَرَجُ
وَيَقْضَى إِمَامُ الْحَقِّ فِيكُمْ قَضَاءَهُ تَمَاماً وَمَا كُلُّ الْحَوَائِلِ تَخْدَجُ
وَتُظْلَعُنُ خَوْفَ السَّبْيِ بَعْدَ إِقَامَةِ ظِعَانُنُ لَمْ يُضْرَبْ عَلَيْهِنَّ هَوْدَجُ
ومنها :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يَمْسُوا خِصَاصاً، وَأَنْتُمْ يَكَادُ أَخُوكُمْ بَطْنُهُ يَتَّبَعُ
تَمْشُونَ مَخْتَالِينَ فِي حُجُرَاتِكُمْ ثَقَالَ الْخَطَى أَكْفَالُكُمْ تَتَرَجَّرُ
وَلَيْدُهُمْ بَادِي الضَّوَى وَوَلِيدُكُمْ مِنَ الرَّيْفِ رِيَّانُ الْعِظَامِ حَدَلَجُ
تَذُودُونَهُمْ عَنْ حَوْضِهِمْ بِسُيُوفِكُمْ وَيُشْرَعُ فِيهِ أَرْتِيلُ وَأَبْلَجُ
فَقَدْ أَلْجَأْتَهُمْ خِبْفَةَ الْقَتْلِ عَنْكُمْ وَبِالْقَوْمِ حَاجٌ فِي الْحِيَازِمِ حُوجُ
ومنها :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَطِيبُوا وَتَخَبُّشُوا وَأَنْ يَسْبِقُوا بِالصَّالِحَاتِ وَيَفْلُجُوا
وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْهُمْ وَكَانَ أَبُوكُمْ أَبَاهُمْ فَإِنَّ الصَّفَّو بِالرَّقْ يُمَزَّجُ
فَلَنْ تَعْدَمُوا مَا حَنَّتْ النِّيْبُ فِتْنَةً تَحْشَى كَمَا حَشَى الْحَرِيقُ الْمُؤَرَّجُ
وَقَدْ بَدَأَتْ لَوْ تُزْجَرُونَ بِرِيحِهَا بِوَأْجِهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ تَبْوَجُ

فَأَنْتَ تَرَى فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الطَّوِيلَةِ أَنَّ ابْنَ الرَّوْمِيِّ عَرَضَ نَفْسَهُ
لَا نَتَّقَامُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمَنْ مَالَاهُمْ مِنْ أَمْرَاءَ وَوُزَرَاءَ وَقَوَادِءَ ، لَمْ يَخْتَسِ
صَاحِبِنَا بِطَشْتِهِمْ وَلَا كَيْدِهِمْ وَرَاحَ يَعْصِرُ بَالِ الْعَبَّاسِ تَعْرِيضاً تَسْهِيداً ،
وَيَنْذِرُهُمْ عَاقِبَةَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ بِقِيَامِ رَجُلٍ مِنْ آلِ الْبَيْتِ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ

قوى ، يستطيع أن يدمر الخلافة العباسية تدميرا تاما وأن يحكم الناس بالعدل والإحسان ويقضى على الفحشاء والمنكر والبغى . وذكر أن هذه الثورة قد ظهرت بوادرها وأصبح زوال العباسيين قاب قوسين أو أدنى . وقد تشيع ابن الرومى فى غير هذه القصيدة ، مما لا داعى لذكره . وقد كان صاحبنا معتدلا فى تشيعه فلن تجد له كلمة نابية فى حق أحد من الصحابة .

(٧) المفجع البصرى

هو محمد بن عبيد الله الكاتب المعروف بالمفجع البصرى . ويكنى أبا عبد الله . قال ابن النديم فى كتاب الفهرست ^(١) إنه « لقي ثعلبا وأخذ عنه وعن غيره . وكان شاعرا شيعيا وله قصيدة يسميها بالأشباه يمدح فيها عليا عليه السلام ، وقال صاحب يتيمة الدهر « والمفجع البصرى صاحب ابن دريد والقائم مقامه فى التأليف والإملاء . حدث ابن نصر قال ، حدثني بعض المشايخ البصريين قال : كان المفجع وشمال يتهاجيان وكان شمال سنيا والمفجع شيعيا ، ثم أورد الثعالبي مقطوعة للمفجع فى هجاء شمال أعرضت عن ذكرها لقبح ما فيها . وقد هجاه أحد الشعراء بقوله .

إن المفجع ويله شر الأوائل والأواخر
ومن النوادر أنه يملئ على الناس النوادر

وقد لقب بالمفجع لبنت قاله .

شاعريته : قال المرزبانى « هو شاعر مكثر عالم أديب ، وقال الثعالبي « وأما شعره فقليل كثير الحلاوة يكاد يقطر منه ماء الظرف » وقال عنه

كذلك إنه « شاعر البصرة وأديبها . وكان يجلس في الجامع بالبصرة فيكتب عنه ويقرأ عليه الشعر واللغة والمصنفات » .

مدحه لآل البيت : سمع المفجع حديثا رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في محفل من أصحابه : إن تنظروا إلى آدم في عله ، ونوح في همه ، وإبراهيم في خلقه ، وموسى في مناجاته ، وعيسى في سنه ، ومحمد في هديه وحلبه ، فانظروا إلى هذا المقبل » فتناول الناس فإذا هو علي بن أبي طالب . فأورد المفجع ذلك في قصيدة وضمنها مناقب كثيرة تعزى إلى علي . قال :

أَيُّهَا اللَّائِمِيُّ لِحَبِّي عَلِيًّا	قُمْ ذَمِيمًا إِلَى الْجَحِيمِ خَزِيًّا
أَبْخَيْرُ الْأَنَامِ عَرَضْتَ لَا زَا	تَ مَذُودًا عَنِ الْهُدَى مَزُورِيًّا
أَشْبَهَ الْأَنْبِيَاءَ كَهْلًا وَزَوْلًا	وَفَطِيمًا وَرَاضِعًا وَغَدِيًّا
كَانَ فِي عَلَيْهِ كَادَمٌ إِذْ عُدُّ	لِمَ شَرَحَ الْأَسْمَاءَ وَالْمَكْنِيَّا
وَكُنُوحٌ نَجَى مِنَ الْهَلَاكِ مِنْ سِي	يرَ فِي الْفَلَكَ إِذْ عَلَا الْجُودِيَّا
وَجَفَا فِي رِضَا إِلَهِ أَبَاهُ	وَاجْتَوَاهُ وَعَدَّهُ أَجْنِيًّا
كَاعْتِزَالِ الْخَلِيلِ آزَرَ فِي الـ	لِهِ وَهَجْرَانِهِ أَبَاهُ مَلِيًّا
وَدَعَا قَوْمَهُ فَأَمَّنَ لُوطٌ	أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْهُ تَرَحُّمًا وَرِيًّا
وَعَلِيٌّ لَمَّا دَعَاهُ أَخُوهُ	سَبَقَ الْحَاضِرِينَ وَالْبَدَوِيَّا
وَلَهُ مِنْ أَبِيهِ ذِي الْأَيْدِ إِسْمًا	عِيلَ شَبَهُ مَا كَانَ عَنِّي حَفِيًّا
إِنَّهُ عَاوَنَ الْخَلِيلَ عَلَى الْكُفِّ	بِهِ إِذْ شَادَ رَكْنَهَا الْمُبِيًّا

ولقد عاوت الوصي حبيب الـ له إذ يغسلان منها الصفياء
 أم حمل النبي كي يقطع الأصـ نام من سطحها المثل الحياء
 فحناءه ثقل النبوة جتي كاد يناد تحته مثييا
 فارتقى منكب النبي علي صنوه ما أجل ذا المرقيا
 فأحاط اللثام عن ظاهر الكع به ينثي الرجاس عنها نفيا
 ولو أن الوصي حاول مس الذـ جهم بالكف لم يجده قصيا
 أفهل تعرفون غير علي وابنه استرحل النبي مطيا
 أورد ياقوت^(١) هذه القصيدة وقال « وشعر المفجع كثير حسن » .

وقد مدح بعض العلويين المعاصرين له بكثير من القصائد الجيدة
 نذكر منها قصيدته التي مدح بها أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب الزيني وهي:
 للزيني على جلاله قدره خلقت كطعم الماء غير مرند
 وشهامة تقصى الليث إذا سطا وندى يغرق كل بحر مرند
 يحتل بيتا في ذؤابة هاشم طالت دعائمه تحمل الفرقد
 حر يروح المستميح ويغتندي بمواهب منه تروح وتغتندي
 فإذا تخيف ماله وعطاؤه في يومه بهك البقية في غد
 بضياء سله المكارم تهتدي وبجود راحته السحاب تهتدي
 مقدار ما بيني وما بين الغنى مقدار ما بيني وبين المرند

ولم يصل إلينا من أخبار المُفَجَّع ما يفيد تعرضه للصحابة كما فعل غيره من شعراء الشيعة . والظاهر أنه لم يكن غاليا في التشيع ولا مُحَقِّقا . وقد ضاع شعره حتى لا نكاد نعرف منه شيئا سوى ما تقدم .
وفاته : وكانت وفاة المفجع البصرى في سنة ٣٢٧ هـ

(٨) الشريف الرضى

هو أبو الحسن بن الطاهر أبي احمد الحسين ينتهى نسبه إلى على بن أبي طالب .

مولده : ولد الشريف الرضى عام ٣٦١ هـ وعاش خمسة وأربعين عاما أدرك في خلالها ثلاثة خلفاء من بني العباس هم المطيع لله والطائع لله والقادر بالله وفي أيام هذا الخليفة توفى شاعرنا .

عصره : كان عصر الشريف الرضى عصر قن واضطرابات ومعارك كثيرة تقع بين الأتراك والديلم في بغداد كان يترتب عليها أن تسفك دماء ، وتحرب أحياء أهلة بالسكان ، ويتعرض الناس للهلاك ، وتنتشر اللصوصية ، وتصبح المحال التجارية عرضة للنهب والسلب ، والدور للحرق والتدمير ولم يكن للخليفة العباسى أى نفوذ خارج قصره . وقد أصبح الحكام الحقيقيون للعراق من آل بويه .

ثقافته وتهذيبه : بدأ الشريف الرضى ثقافته بأن قرأ القرآن على أبي اسحاق ابراهيم الطبرى وهو حدث . ثم أعاد حفظه بعد أن تخطى هذه السن . وكانت أمه تعنى بشؤون أبنائها عناية فائقة ، وتهتم بتنقيفهم وتهذيبهم منذ حداثتهم فقد روى ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة أنها

دخلت يوماً المسجد إلى أبي عبد الله محمد بن النعمان الفقيه الإمامي وحوّلها جواربها وبين يديها ابناها الرضى والمرضى فقام إليها وسلم فقالت : أيها الشيخ هذا ولد اى قد أحضرتهما إليك لتعلمهما الفقه فتولى تعليمهما ، وذكر ابن جنى أن الشريف الرضى أحضر إلى ابن السيرافى النحوى المشهور فتلّق عنه علم النحو .

تصرفه وعمله : ولى الشريف الرضى نقابة الطالبين وهى رئاسة آل البيت العلوى والحكم فيهم أجمعين مستقلين عن طبقات الأمة الإسلامية . كان نقيباً فى بغداد أولاً ثم جعله بنو بويه نقيباً للطالبين فى بلاد فارس بآجمعها . وكان يضم إلى ذلك العمل النظر فى المظالم والحج بالناس . وهذه الأعمال كان يتولاها والده الطاهر ثم تنازل عنها لابنه الرضى ، لأن هذا كان يمنى نفسه بالخلافة ، وكان يفكر كثيراً فى سبيل تحقيق هذه الأمنية فخشى والده عليه شر العباسيين وبطشهم ، فأسند إليه هذه الأعمال ليشغله بها عن التفكير فى موضوع الخلافة ، وليسكن خاطره النائر ويخفف من حدته وغليانه . قال فى ذلك :

وَلِيَّ النِّقَابَةِ خَالُ أُمِّي قَبْلُ ثُمَّ أَبِي وَجَدِّي
وَوَلِيَّتْهَا طِفْلاً فَهَلْ بَجْدٌ يُعَدَّدُ مِثْلُ بَجْدِي

ولكنه برم بها فردّها إلى والده الذى توفى عام ٤٠٠ هـ فاضطر صاحبنا إلى القيام بأعبائها وبقي كذلك حتى مات فى سنة ٤٠٦ هـ فتولاها من بعده أخوه المرتضى

وقد اتخذ الشريف المرتضى فى حياته داراً أسماها دار العلم ، وكان يجتمع بهذه الدار طلبة العلم الملازمون له .

وقد وضع كثيراً من الكتب والرسائل كما أنه بذل مجهوداً كبيراً في جمع ما حواه كتاب « نهج البلاغة »

مذهبه: كان الشريف الرضى يدين بمذهب الإمامية الاثنا عشرية الذين يرون أن الخلافة في أبناء الحسين .

آماله وأمانيه: كان الشريف الرضى يمني نفسه بمنصب الخلافة ، فلم تهدأ له نفس ، ولم يسكن له خاطر ، ولم تصف له الحياة قط بل كان في تفكير متواصل ، وهم وقلق وحزن شديد ، تارة يرى الأمل أمامه مقبلاً وتارة يرى ظلمات اليأس مخيمة في سماء تفكيره .

وبما شجع الشريف الرضى على الاسترسال في آماله مارآه من ضعف الخلافة العباسية ضعفاً تاماً ، وما شاهده من انحلالها وذهاب نفوذها وسلطانها . وبما شجعه كذلك أن آل بويه كانوا من غلاة الشيعة الذين يدينون بالولاء لآل علي . ويذكر المؤرخون أن الملوك البويهيين كانوا يحرضون النساء على الخروج وعمل المناحات والبكاء والعويل في شوارع بغداد وطرقاتها في مثل اليوم الذي قتل فيه الحسين من كل عام وكان الشريف الرضى يرى ذلك بعيني رأسه فيقوى أمله ويزداد تعلقه بالخلافة وجلالها . وكان له أنصار كثيرون منهم أبو إسحاق الصائبي الذي كان يزعم أن طالع صاحبنا يدل على أنه سيرقى حتماً إلى هذا المنصب الرفيع . وكانت تدور بينهما قصائد بهذا المعنى ، فمن ذلك قول إسحاق الصائبي وقد بعث بها إلى الشريف الرضى :

أبا حَسَنِ لِي فِي الرَّجَالِ فِرَاسَةٌ تَعَوَّدْتُ مِنْهَا أَنْ تَقُولَ قَتَصُدُقًا
وَقَدْ خَبَّرْتَنِي عَنْكَ أَنْكَ مَا جَدُّ سَتَرْتَنِي مِنَ الْعِلْيَاءِ أَبْعَدُ مُرْتَقَى
فَوْفَيْتِكَ، التَّعْظِيمَ قَبْلَ أَوَانِهِ وَقُلْتُ أَطَالَ اللَّهُ لِلْسَّيِّدِ الْبَقَا
وَأَضْمَرْتُ مِنْهُ لَفْظَةً لَمْ أَبْجِ بِهَا إِلَى أَنْ أَرَى إِطْلَاقَهَا لِي مُطْلَقًا
فَإِنْ عِشْتُ أَوْ إِنْ مِتُّ فَاذْكُرْ بِشَارَتِي وَأَوْجِبْ بِهَا حَقًّا عَلَيْكَ مُحَقَّقًا
وَكُنْ لِي فِي الْأَوْلَادِ وَالْأَهْلِ حَافِظًا إِذَا مَا أَطْمَأَنَّ الْجَنْبُ فِي مَوْضِعِ الْبَقَا
فَأَجَابَهُ الشَّرِيفُ الرِّضَى بِقَوْلِهِ :

سَنَنْتَ لِهَذَا الرُّوحِ غَرْبًا مُذَلَّقًا وَأَجْرَيْتَنِي ذَا الْهِنْدُؤَانِي رَوْنَقًا
وَسَوَّمْتَ ذَا الطَّرْفِ الْجَوَادَ وَإِنَّمَا شَرَعْتَ لَهُ نَهْجًا فَخَبًّا وَأَعْنَقًا
لَنْ بَرِّقَتْ مِنِّي نَحَايِلُ عَارِضٍ لِعَيْنِكَ يَقْضَى أَنْ يَجُودَ وَيَغْدَقَا
فَلَيْسَ بِسَاقٍ قَبْلَ رَبْعِكَ مَرْبَعًا وَلَيْسَ بِرَاقٍ قَبْلَ جُودِكَ مُرْتَقَى

ثُمَّ إِنْ مَلُوكَ آلَ بُوَيْهِ كَانُوا يَمْنُونَهُ بِهَا وَيَعْدُونَهُ بِقَرْبِ صِيرُورَتِهَا إِلَيْهِ
فَلَا عَجَبَ أَنْ سَيَطَرَ عَلَيْهِ حِلْمُ الْخَلَاقَةِ ، وَمَلَكَ عَلَيْهِ مَشَاعِرُهُ وَأَصْبَحَ
شَبَحَهَا مَائِلًا أَمَامَهُ فِي الْقَوْمَةِ وَالْقَعْدَةِ ، وَالْمَنَامِ وَالْيَقِظَةِ ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ
يَذْهَبُ إِلَيْهِ قَالَ :

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقَّعُ إِلَى النُّجُومِ سَأَحْمِلُهَا عَلَى الْخَطَرِ الْعَظِيمِ
وَلِي أَمَلٌ كَصَدْرِ الرُّمَحِ مَاضٍ سِوَى أَنْ اللَّيَالِيَّ مِنْ خُصُومِي
وَمَالِي هِمَّةٌ إِلَّا الْمَعَالِي وَذَبُّ الضَّمِيمِ عَنْ نَسَبِ صَمِيمِ

لماذا فشل؟؟ : كان الشريف الرضى ينتظر من البويهيين أن يساعده في الوصول إلى منصب الخلافة ، ولكن هؤلاء كانوا ينظرون إلى مصالحهم الشخصية . ومصلحتهم كانت تقضى بوجود خلافة اسمية لا حول لها ولا قوة ولا جاء ولا سلطان . وهذا كان متوفرا في خلافة بنى العباس الذين كانوا يُؤَلَّونَ بأمر البويهيين ولم يكن لهم من مظاهر الحكم غير ذكر أسمائهم في الخطبة . وكان آل بويه يخشون قيام خلافة عربية قوية تقضى على حكمهم قضاء مبرما وتعيد مجد الامبراطورية الإسلامية كما كان أولا ، لذلك لم يجد صاحبنا منهم عونا ، وقضى حياته يضاجع الأحلام

يأسه وحزنه : لما رأى الشريف الرضى هذا الفشل العظيم الذى لحقه وأدرك أن أمنيته لا تتحقق أخذ منه اليأس كل مأخذ فطفق يبكى وينوح ويندب آماله الضائعة ، قال :

وعدت يادهرُ شيئا بتُّ أرقبه وما أرى منك إلا وعدَ عُرُوبٍ
وحاجةً أتقاضاها وتمطلنى كأنَّها حاجةٌ فى نفس يعقوبٍ
لأتعبنَّ على البداءِ راحلةً والليلُ بالريح خفاقُ الجلابيبِ
لقد أخذ اليأس يسرى فى الرجل ، وشاعت روح الكآبة والحزن

فى شعره قال :

ما مقامى على الهوانِ وعندي مِقُولٌ صارمٌ وأنفٌ حَمِيٌّ
وإِبَاءٌ مُحَلَّقٌ بى عن الضيمِ كما رَاغَ طائرٌ وَحْشِيٌّ
أى عذرٍ له إلى المجدِ إن ذلَّ فى غمِّهِ المَشْرِفُ
أحملُ الضيمَ فى بلادِ الأعادى وبمصرَ الخليفة العَلَوِيَّ

من أبوه أبي ومولاه مولا يَ إِذَا ضَامَنِي الْبَعِيدُ الْقَصِيُّ
لَقَّ عِرْقِي بِعِرْقِهِ سَيِّدُ النَّاسِ سِ جَمِيعًا مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ
إِنْ ذُلِّيَ بِذَلِكَ الْجَوُّ عَزُّ وَأَوَامِي بِذَلِكَ النَّقْعُ رِيٌّ
قَدْ يَذِلُّ الْعَزِيزُ مَا لَمْ يُشَمَّرْ لَا نِطْلَاقٍ وَقَدْ يُضَامُ الْأَيْتُ
إِنَّ شَرًّا عَلَى إِسْرَاعٍ عَزْمِي فِي طَلَابِ الْعُلَا وَحَظِّي بَطِيٌّ
أَرْتَضِي بِالْأَذَى وَلَمْ يَقِفِ الْعَزُّ مُ قُصُورًا وَلَمْ تَعَزِ الْمَطِيُّ
كَالَّذِي يَخْطِطُ الظَّلَامَ وَقَدْ أَقَا مَرَّ مِنْ خَلْفِهِ النَّهَارُ الْمُضِيُّ

قيل إن هذه الأبيات وصلت إلى يد الخليفة القادر بالله فعضب غضباً شديداً ، وعقد مجلساً وأحضر فيه أبا الطاهر الموسوى والد الشريف الرضى وابنه المرتضى وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء ، وأبرز لهم أبيات الشريف السالفة الذكر . وتقدم حاجب الخليفة وقال للنقيب أبى أحمد (والد الرضى) قل لولدك : محمد (الشريف الرضى) أى هو أن قد أقام عليه عندنا ؟؟ وأى ذل أصابه فى ملكنا ؟؟ وما الذى يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه ؟؟ أكان يصنع معه أكثر من صنيعنا ؟؟ ألم نوله النقابة ؟؟ ألم نوله المظالم ؟؟ ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه أمير الحج ؟؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا ؟؟ ما نظنه كان يكون — لو حصل عنده — إلا واحداً من أفتاء الطالبيين ؟؟ فقال له النقيب أبو أحمد : أما هذا الشعر فما لم نسمعه ولا رأيناه بخطه ، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحلة إياه وعزاه له ، فقال القادر : إن كان كذلك فليكتب الآن محضر بذلك يتشهد فيه جميع من حضر المجلس منهم النقيب

أبو أحمد (والد الشريف) وابنه المرتضى ، وكان هذا المحضر بمثابة إقرار يتضمن قدحاً في نسب العلويين حكام مصر في ذلك الحين . وحمل إلى الرضى ليوقعه ، حمله إليه أبوه ، فامتنع ولكنه أنكر الشعر واعترف كتابة بأنه ليس بشعره ولا يعرفه .

شاعريته : امتاز الشريف الرضى بشاعرية قوية جداً تتدفق تدفق المحيط . فإذا انطلق لسانه بالثناء أتى بالقصائد الطويلة التي تزيد على المائة بيت ومعظمها مما يسيل العبرات ، وإذا مدح أطال وأتى بما يرقص بمدوحه وإذا افتخر أبدع وأجاد ، وأتى في أبيات معدودة بما لا يتيسر لغيره أن يأتي به في قصيدة طويلة .

التشيع في شعره : ذكر الشريف الرضى كثيراً من مناقب علي وآل بيته في قصائد كثيرة ودافع عن حق العلويين في الحكم . ورثي الحسين بحملة قصائد رائعة إلى أبعد حدود الروعة . ومن تلك القصائد قوله :

هذى المنازلُ بالغَمِيمِ فنادها	واسْكُبْ سَخِيَّ العَيْنِ بعد جمادها
إن كان دينُ للعالم فاقضه	أو مهجة عند الطلول ففادها
يا هَلْ تَبْلُ من الغليلِ إليهمُ	إِشْرَاقُهُ لِلرَّكَبِ فوقَ نجادها
نُؤْيُ كُنْعَظَفِ الحَنِيَّةِ دُنْه	سُحْمُ الخُدُودِ لَهْنُ إِرْثُ رَمَادها
وَمَنَاطُ أَطْنَابٍ وَمَقْعَدُ فِتْيَةٍ	تَحْجُبُو زِنَادِ الحَيِّ غَيْرَ زِنَادها
وَمَجَرُّ أَرْسَانِ الجِيَادِ لَغْلَةٍ	سَجَفُوا البُيُوتَ بِشَقَرِها وَوَرَادها

ولقد حَبَسْتُ عَلَى الدِّيَارِ عَصَابَةً
حَسَرَى تُجَاوِبُ بِالْبُكَاءِ عِيُونُهَا
وَقَفُّوا بِهَا حَتَّى كَانَ مَطِيئَهُمْ
ثُمَّ انْتَنَتْ وَالدَّمْعُ مَاءَ مَرَادِهَا
مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلٍ حَمَائِلَ رَنَةٍ
حَيْثُكَ بَلْ حَيْثُ طُلُوكَ دِيَمَةٍ
وَعَدْتُ عَلَيْكَ مِنَ الْخِثَائِلِ يَمْنَةً
هَلْ تَطْلُبُونَ مِنَ النُّوَاطِرِ بَعْدَ كَمْ
لَمْ يَبْقَ ذَخْرٌ لِلدَّفَائِعِ عَنْكُمْ
شَغَلَ الدَّمُوعَ عَنِ الدِّيَارِ بُكَائُونَا
لَمْ يَخْلِفُوهَا فِي الشَّهِيدِ وَقَدْ رَأَى
أَتَرَى دَرَّتْ أَنْ الْحُسَيْنَ طَرِيدَةً
كَانَتْ مَا تَمُّ بِالْعِرَاقِ تَعْدُهَا
مَا رَأَيْتُ غَضَبَ النَّبِيِّ وَقَدْ غَدَا
بَاعَتْ بَصَارُ دِينِهَا بِضَلَالِهَا
جَعَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ خَصْمَائِهَا
نَسَلُ النَّبِيِّ عَلَى صَعَابِ مَطِيئِهَا
وَالْهَفَّتَاهُ لِعُصْبَةٍ عَلَوِيَّةٍ

مضمومة الأيدي إلى أكبادِها
وتعط^(١) بالزفرات في^(٢) أبرادِها
كانت قوائمه من أوتادِها
ولواعج الأشجان من أزوادِها
قطر المدامع من حلي بجادِها
يشفي سقيم الربيع نفث عهادِها
تستام نافقة على رؤادِها
شيئا سوى عبارتها وسهادِها
كلا ولا عين جري لرقادِها
لبكاء فاطمة على أولادِها
دمع الفرات يزاد عن أورادِها
لقنا بني الطرداء عند ولادِها
أموية بالشام من أعيادِها
زرع النبي مظنة لحصادِها
وشرت معاطب غيا برشادِها
فلبث ما ذخرت ليوم معادِها
ودم النبي على رؤوس صعادِها
تبعت أمة بعد عز قيادِها

جعلت عُرَانَ الذَّلَّ في آنا فيها
 زَعَمْتُ بَأَنَّ الدِّينَ سَوَّغَ قَتْلَهَا
 طلبت تراثَ الجاهليةِ عندها
 واستأثرتُ بالأمرِ عن غيَّابِها
 اللهُ سَابِقُكُمْ إلى أَرْوَاحِهَا
 إِنْ قُوِّضَتْ تِلْكَ الْقِيَابُ فَإِنَّمَا
 إِنْ الْخِلَافَةُ أَصْبَحَتْ مَرْوِيَّةً
 طَمِسَتْ مَنَابِرُهَا عُلُوجُ أُمِّيَّةٍ
 هي صفوةُ اللهِ التي أَوْحَى بها
 أَخَذَتْ بِأَطْرَافِ الْفَخَّارِ فَعَاذِرُ
 الزُّهْدِ وَالْإِحْلَامُ فِي قُتَاكِهَا
 عَصَبُ يُقَمِّطُ بِالنَّجَادِ وَلِيدُهَا
 تَرَوِي مَنَاقِبَ فَضْلِهَا أَعْدَاؤُهَا
 يَا غَيْرَةَ اللهِ اغْضَبِي لِنَبِيِّهِ
 مِنْ عُصْبَةٍ ضَاعَتْ دِمَاءُ مُحَمَّدٍ
 صَفَدَاتِ مَالِ اللهِ مَلَأَ أَكْفَهَا
 ضَرَبُوا بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ أَبْنَاءَهُ
 قِفْ بِي وَلَوْ لَوْتُ الْأَزَارِ فَإِنَّمَا
 بِالطَّفِّ حَيْثُ غَدَا مُرَاقُ دِمَائِهَا
 وَعُلَاطَ وَسَمِ الضَّيْمِ فِي أَجْيَادِهَا
 أَوَلَيْسَ هَذَا الدِّينُ عَنْ أَجْدَادِهَا
 وَشَفَتْ قَدِيمَ الْغِلِّ مِنْ أَحْقَادِهَا
 وَقَضَتْ بِمَا شَاءَتْ عَلَى شَهَادِهَا
 وَكَسَبَتْ الْآثَامَ فِي أَجْسَادِهَا
 خَرَّتْ عِمَادُ الدِّينِ قَبْلَ عِمَادِهَا
 عَنْ شَعْبِهَا بَيَاضُهَا وَسَوَادِهَا
 تَنَزَّوْ ذُنَابُهُمْ عَلَى أَعْوَادِهَا
 وَقَضَى أَوَامِرَهُ إِلَى أَهْجَادِهَا
 أَنْ يُصْبِحَ الثَّقَلَانِ مِنْ حُسَادِهَا
 وَالْفَتْنُكُ لَوْلَا اللهُ فِي زُهَادِهَا
 وَمَهْودُ صَبِيَّتِهَا ظُهُورُ جِيَادِهَا
 أَبَدًا وَتَسْنِدُهُ إِلَى أَضْدَادِهَا
 وَتَرْخِزِحِي بِالْبَيْضِ عَنْ أَعْمَادِهَا
 وَبَلِيَّةِ بَيْنَ يَزِيدِهَا وَزِيَادِهَا
 وَأَكْفُ آلِ اللهِ فِي أَصْفَادِهَا
 ضَرْبَ الْغَرَائِبِ عُدْنَ بَعْدَ ذِيَادِهَا
 هِيَ مُهْجَةٌ عَلَقَ الْجَوَى بِفَوَادِهَا
 وَمَنَاحُ أُنُقِهَا لِيَوْمِ جِلَادِهَا

القفر من أرواقها والطيْر من
تَجَرَّى لها حَبُّ الدُّمُوعِ وإِنَّمَا
يَا يَوْمَ عَاشُورَاءَ كَمْ لَكَ لَوْعَةٌ
مَا عُدَّتْ إِلَّا عَادَ قَلْبِي غُلَّةً
يَا جَدُّ لَا زَالَتْ كَتَائِبُ حَسْرَةٍ
أَبَدًا عَلَيْكَ وَأَدْمَعُ مَسْفُوحَةٌ
هَذَا الشَّنَاءُ وَمَا بَلَغْتُ وَإِنَّمَا
أَقُولُ جَادَ كَمْ الرِّيعُ وَأَنْتُمْ
أَمْ أَسْتَرِيدُ لَكُمْ عَلَاً بِمَنَاحِي
كَيْفَ الشَّنَاءُ عَلَى النَّجُومِ إِذَا سَمَتْ
أَغْنَى طُلُوعُ الشَّمْسِ عَنْ أَوْصَافِهَا
طَرَّاقِهَا وَالْوَحْشُ مِنْ عَوَادِهَا
حُبُّ الْقُلُوبِ يَكُنْ مِنْ أَمْدَادِهَا
تَتَرَقَّصُ الْأَحْشَاءُ مِنْ إِيْقَادِهَا
حَرَّى وَلَوْ بَالَغْتُ فِي إِيْرَادِهَا
تَغْشَى الضَّمِيرَ بِكَرَّهَا وَطِرَادِهَا
إِنْ لَمْ يُرَاحُهَا الْبُكَاءُ يُغَادِهَا
هِيَ حَلَبَةٌ خَلَعُوا عَلَيْكَ جَوَادِهَا
فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ رِيَّعُ بِلَادِهَا
أَيْنَ الْجِبَالُ مِنَ الرَّبِّ وَوَهَادِهَا
فَوْقَ الْعُيُونِ إِلَى مَدَى أَبْعَادِهَا
بِحَلَالِهَا وَضِيَائِهَا وَبِعَادِهَا

وفاته : كان للحقيقة المرة التي اصطدم بها الشريف الرضى ولحيته
وفشله فيما كان يسعى إليه أثر سيء في نفسه وفي صحته ، فأخذ جسمه يذبل
شيئاً فشيئاً ، وشرعت قواه في التدهور والانحلال يوماً بعد يوم .
وسرعان ما اختطفته يد المنون وهو في شرخ الصبا . لقد مات حزينا
ساخطاً دهره ، ناقماً على الدنيا وما فيها ومن فيها . أدركته المنية في يوم
الأحد سادس المحرم سنة ٤٠٦ هـ ببغداد فجزع أخوه المرتضى جزعاً شديداً
حتى أنه لم يشترك في الصلاة عليه ولم يستطع حضور دفنه . وصلى عليه

الوزير فخر الملك وكثير من العظماء والنبلاء ودفن بداره بالكرخ ثم
نقل إلى مشهد الحسين بكر بلا حيث دفن بجوار قبر أبيه . وقد رثاه
أخو المرتضى بقوله :

يا للرجالِ لَفَجَعَةٍ جَلَنَمَتْ يَدَيَّ وَوَدِدْتُ لَوْ ذَهَبْتُ عَلَى براسي .
مَا زِلْتُ أَصْدُرُ وَرْدَهَا حَتَّى أَتَتْ فَحَسَوْتُهَا فِي بَعْضِ مَا أَنَا حَاسِي
وَمَظَلَّتْهَا زَمَنًا فَلَمَّا صَمَّمْتُ لَمْ يُثْنِهَا مَطْلِي وَطُولُ مِكَاسِي
لِلَّهِ عُمُرُكَ مِنْ قَصِيرٍ طَاهِرٍ وَلِرُبِّ عُمُرٍ طَالٍ بِالْأَرْجَاسِي

ورثاه تلميذه مهيار الديلمي بأكثر من قصيدة ومن ذلك قوله :

يَكْرُ النَعْيُ فَقَالَ : أُرْدَى خَيْرُهَا إِنْ كَانَ يَصْدُقُ فَالرَّضَى هُوَ الرَّدَى
عَادَتْ أَرَاكَةَ هَاشِمٍ مِنْ بَعْدِهِ خَوْرًا لِفَاسِ الْحَاطِبِ الْمُتَوَقِّدِ
فَجَعْتُ بِمُعْجِزِ آيَةٍ مَشْهُودَةٍ وَلِرُبِّ آيَاتٍ لَهَا لَمْ تُشْهِدِ
كَانَتْ إِذَا هِيَ فِي الْإِمَامَةِ نَوَزِعَتْ ثُمَّ ادَّعَتْ بِكَ حَقَّهَا لَمْ تُجْحَدِ
تَبِعْتُكَ عَاقِدَةً عَلَيْكَ أُمُورَهَا وَعُرَى تَمِيمِكَ بَعْدُ لَمَّا تُعْقَدِ
وَرَأَىكَ طِفْلًا شَيْهًا وَكُهُولَهَا فَزَحْزَحُوا لَكَ عَنْ مَكَانِ السَّيِّدِ
أَتَفَقْتُ عَمْرَكَ ضَائِعًا فِي حِفْظِهَا وَعَقَّقْتُ عَيْشَكَ فِي صَلاَحِ الْمُفْسِدِ
كَالنَّارِ لِلسَّارَى الْهَدَايَةُ وَالْقَرَى مِنْ ضَوِيَّهَا وَدُخَانُهَا الْمُوقِدِ

(٩) مهيار الديلمي

هو أبو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور . قال ابن خلكان « كان مجوسيا فأسلم ، ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضي أبي الحسين محمد الموسوي وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر »

علاقته بالشريف الرضي : كان مهيار يحضر دروس العلم التي كان يعقدها الشريف الرضي لكثير من الشبان فتيسر له أن يلم بقسط وافر من الأدب نظمه ونثره . وقد نشأت بين الأستاذ وتلميذه علاقة ود أخذت تقوى يوما بعد يوم ، حتى أن مهيار كان يعلق كثيراً من الآمال على أستاذه . ولما مات الشريف الرضي رثاه مهيار طويلاً .

إسلامه وتشيعه : وكان من أثر العلاقات القوية بين الشريف الرضي ومهيار أن استطاع الأستاذ أن يحجب إلى تلميذه الدين الإسلامي ، فكان إسلام مهيار على يد أستاذه .

أما تشيعه فقد بدا منه قبل أن يتخذ الإسلام ديناً . وقد مدح الطالبين ورثى علياً والحسين حينما كان على دين المجوسية ، فمن ذلك قوله

نَقَضْتُمْ عُهُودَهُ فِي أَهْلِهِ وَحُلْتُمْ عَنْ سَنَنِ الْمُرَاسِمِ
وَقَدْ شَهِدْتُمْ مَقْتَلَ ابْنِ عَمِّهِ خَيْرِ مُصْلٍ بَعْدَهُ وَصَائِمِ
وَمَا اسْتَحَلَّ بَاغِيَا أَمَامَكُمْ يَزِيدُ بِالطَّفِّ مِنْ ابْنِ فَاطِمِ
ولما أسلم غلا في تشيعه غلواً كبيراً وأفرط في سب الخلفاء الأول

إفراطاً لحقه بالسيد الحميرى وقد وصل إلينا شعر مهيار كاملاً فرأينا
ما جرى على لسانه من طعن ولعن . ومن ذلك قوله :

هذى قضايا رسول الله مُهملةٌ	غدرأ وشملُ رسولِ الله منصدِعُ
والناسُ للعهدِ مالا قُوا وما قَرَبُوا	وللخيانةِ ما غابُوا وما شَسَعُوا
وآلهِ وَهُمْ آلُ الإلهِ وَهُمْ	رعاةُ ذا الدينِ ضيمُوا بعده ورُعُوا
مِثاقُهُ فِيهِمْ مُلَقَى وَأُمَّتُهُ	مع من بَغَاهُمْ وَعَادَاهُمْ لَهُ شِيعُ
تَضَاعَ يَبِعْتُهُ يَوْمَ الغديرِ لَهُم	بعد الرِّضا وَتُحَاطَ الرُّومُ وَالْبَيْعُ
مُقْسِمِينَ بِأَيِّمَانٍ هُمْ جَسَدَبُوا	يُوعِهَا وبأسِيفٍ هُمْ طَبَعُوا
مابينَ ناشِرٍ حبلٍ أَمَسَ أبرمه	تُعدُ مَسْنُونَةٌ من بعده البدعُ
وبين مُقْتَنَصٍ بِالْمَكْرِ يَخْدَعُهُ	عن آجلٍ عاجِلٍ حُلُوٌ فينخدِعُ
وقائلٌ لى عَلَى كَانَ وارثُهُ	بالنصِّ مِنْهُ فَهَلْ أَعْطَوْهُ أَمْ مَنَعُوا
قَقَلْتُ كَانَتْ هَنَاتٌ لَسْتُ أَذْكُرُهَا	يَحْزَى بِهَا اللهُ أَقْوَاماً بَمَا صَنَعُوا
أَبْلَغُ رَجَالاً إِذَا سَمَّيْتُهُمْ عُرِفُوا	لَهُمْ وَجوهٌ من الشَّحناءِ تُنْتَقَعُ
تَوَافَقُوا وَقَنَاةَ الدِّينِ مَائِلَةٌ	لَحِينٌ قَامَتْ تَلَا حَوَافِيهِ وَاقْتَرَعُوا
أَطَاعَ أَوْلَهُمْ فِي الغدرِ تَانِيَهُم	وَجَاءَ ثَالِثُهُمْ يَقْفُو وَيَتَّبِعُ
قَفُوا عَلَى نَظَرٍ فِي الْحَقِّ تَفَرِّضُهُ	وَالْعَقْلُ يَفْضُلُ وَالْمَحْجُوجُ يَنْقَطِعُ
بَأَى حَكَمَ بَنُوهُ يَتَّبِعُونَكُمْ	وَنَفَرَ كَمَ أَنْكُمْ صَحْبٌ لَهُ تَبْعُ
وَكَيْفَ ضَاقَتْ عَلَى الْإِهْلِينَ قُرْبَتُهُ	وَاللَّأَجَانِبِ مِنْ جَنْبِيهِ مُضْطَجِعُ
وَفِيمَ صَيَّرْتُمُ الْإِجْمَاعَ حُجَّتَكُمْ	وَالنَّاسُ مَا اتَّقَوْا طَوْعاً وَلَا اجْتِمَعُوا

أمر عليّ بعيداً من مشورته مستكراً فيه والعباسُ يمتنع
وتدّعيه قريشُ بالقرابة وال أنصارُ لا رُفْعُ فيه ولا وُضْعُ
فأى خُلْفٍ كخُلْفٍ كان بينكم لولا تَلَفَّقُ أخبارُ وتُصْطَنَعُ
ومنها :

إنكارُهم يا أمير المؤمنين لها بعد اعترافهم عاراً به ادرعوا
ونكثهم بك ميلاً عن وصيتهم شرعُ لعمر ك ثانٍ بعده شرعوا
تركت أمرا ولو طالبتُهُ لدرت معاطسُ راغمته كيف تجتدعُ
ليُشرِقَنَّ بحالو اليوم مرُ غدٍ إذا حصدت لهم في الحشر ما زرعوا
فهيار في هذه القصيدة قد تعصب لعلّ وذهب إلى أبعد حدود
التعصب فطعن في الإجماع وأنكر صحته . وذكر أن النبي عهد إلى علي
بالأمر يوم غدير خم وقد مر بنا ذكر ذلك وأن الصحابة غدروا وعضوا
الرسول واغتصبوا حق علي فأطاع أبو بكر في الغدر عمر ، ثم جاء عثمان
يمشي على آثارهم . وهؤلاء كما يقول مهيار سيحملون وزرهم يوم القيامة
وسيحاسبون علي ما أتوا حساباً عسيراً . قيل له : يا مهيار ، انتقلت
بإسلامك في النار من زاوية إلى زاوية ، قال : وكيف ذاك ؟ قيل : لأنك
كنت مجوسياً فأسلمت فصرت تسب الصحابة .

وقد رثى مهيار الحسين بجملة قصائد ومدح عليا وسرد كثيراً من
مناقبه في شعر بديع ، ودافع عن حقوقه في الخلافة دفاعاً حاراً مؤثراً
ومثال ذلك قوله في مدح آل البيت .

لئن نامَ دهرى دونِ المنى وأصبحَ عن نيلها مُقعدى
 ولم أكُ أحمدَ أفعاله فلى أسوةً بنى أحمد
 بخيرِ الورى وبني خيرهم إذا ولدُ الخير لم يولد
 وأكرم حى على الأرض قام وميت توسد فى ملحد
 وبیت تقاصر عنه البيوت وطال عليا على الفرقد
 تحوم الملائك من حوله ويصبح للوحى دار الندى
 ألا سل قريشا ولم منهم من استوجب اللوم أو فند
 وقل : ما لكم بعد طول الضلّال ل لم تشكروا نعمة المرشد
 أتاكم على فترةٍ فاستقام بكم جائرين عن المقصد
 وولّى حميدا إلى ربّه ومن سنّ ماسنّه يُحمد
 وقد جعل الأمر من بعده لحيدر بالخبر المسند
 وسماه مولى بإقرار من لو اتّبع الحق لم يحد
 فليتم بها حسد الفضل عنه ومن يك خير الورى يُحمد
 وقلتم بذاك قضى الاجتماع ألا إنّما الحق للفرّد
 يعزّ على هاشم والنبي تلاعبُ تيم بها أوعدى
 وإرث . على لأولاده إذا آية الإرث لم تُفسد
 فمن قاعدٍ منهم خائف ومن تأثر قام لم يُسعد
 تسلطُ بغيا أكف النفا ق منهم على سيّد سيّد

وما صُرِفُوا عن مُقَامِ الصَّلَاةِ ولا عَنُفُوا في بَنِي ^(١) المسجد
أَبُوهُمْ وَأُمَّهُمْ مِنْ عِلْمٍ — تَ فَاَنْقَصُ مَفَاخِرَهُمْ أَوْزِدِ
أَرَى مِنْ بَعْدِ يَوْمِ الْحُسَيْنِ عِلْبًا لَهُ الْمَوْتُ بِالْمُرْصَدِ
وما الشَّرْكُ لَهِ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا أَنْتَ قِستَ بِمُسْتَبْعَدِ
وما آلُ حَرْبٍ جَنَوْا إِلَّا نَمًا أَعَادُوا الضَّلَالَ عَلَى مِنْ بَدَى
سَيَعْلَمُ مِنْ فَاطِمَ خَصْمُهُ بِأَيِّ نِكَالٍ غَدَا يَرْتَدَى
وَمِنْ سَاءِ أَحْمَدَ يَاسِبُطُهُ فَبَاءَ بِقَتْلِكَ مَاذَا يَدَى ؟
فِدَاؤُكَ نَفْسِي وَمَنْ لِي بِذَا كَ لَوْ أَنَّ مَوْلَى بَعْدِ فِدَى
أَنَا الْعَبْدُ وَالْأَكْمُ عَقْدُهُ إِذَا الْقَلْبُ بِالْقَلْبِ لَمْ يُعْقَدِ
وَفِيكُمْ وَدَادَى وَدِينِي مَعًا وَإِنْ كَانَ فِي فَارِسٍ مَوْلَى
خَصِمْتُ ضَلَالِي بِكُمْ فَاهْتَدَيْتُ وَلَوْلَاكُمْ لَمْ أَكُنْ أَهْتَدَى

وهكذا ترى أن مهيار يضمن كل ماقاله في آل البيت كثيراً من
المطاعن والشتائم في بعض الصحابة ولن تجد له قصيدة واحدة مما نظمها
في هذا الباب خلت من هجوم عنيف على الشيخين .

وفاته: توفي مهيار في سنة ٤٢٨ هـ

(١٠) ابن هانيء الأندلسي

هو محمد بن هانيء بن محمد بن سعدون الأندلسي . يكنى أبا القاسم أو أبا الحسن . وقيل له ابن هانيء الأندلسي تمييزا له عن ابن هانيء الحكمي الشهير بأبي نواس .

مولده : ولد بأشبيلية في سنة ٣٢٠ هـ

شاعريته : قال ابن خلكان : « هو أشعر شعراء المغرب على الإطلاق من المتقدمين والمتأخرين ولأجل ذلك يقال له متنبئ الغرب »

وقال الفتح بن خاقان : « هو علق خطير ، وروض أدب مطير ، غاص في طلب الغريب حتى أخرج دره المكنون ، وبهرج بافتنانه فيه كل الفنون . وله نظم تمنى الثريا أن تتوج به وتقلد ، ويود البدر أن يكتب فيه ما اخترع وولد . »

تشييعه : رحل ابن هانيء من الأندلس إلى شمال إفريقيا ومدح المعز وأصبح من خواصه المربين إليه . وقد ارتفعت مكانته في عين الخليفة الفاطمي وعلمت منزلته فأجله واحترمه ومنحه جزيل العطاء ويعتبر شعر ابن هانيء سجلا لمعتقدات الفاطميين وآرائهم ومذاهبهم ومثال ذلك قوله :

أنت الوري فاعمر حياة الوري باسم من الدعوة مشتق
فالشيعه يعتقدون أن الإمام يقوم مقام النبي في دعوة الناس إلى الحق . والذي يقبل الدعوة يسمى المستجيب .

وقوله :

سَقَيْتَ فَلَا لُبَّ اللَّيْبِ مُعْطَشٌ لَدَيْكَ وَلَا كَافُورَةُ الْعَهْدِ تَسْنَحُ
والمستجيب لا يدخل في الدعوة إلا إذا أخذ عليه العهد والميثاق .

وقوله :

قد كان يُنذِرُ بالوعيدِ لطولِ ما أَصْغَى إِلَيْكَ وَيَعْلَمُ التَّأْوِيلَ
فالشيعة يعتقدون بأن آيات القرآن تحتوى على معانى خفية لا يدرك
كنهاها إلا الإمام الذى تلقى عليها عن سبقه من الأئمة . وقد كرر ابن
هاني هذا الاعتقاد فى موضع آخر فقال .

أَهْلُ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ وَالْهَدَى فِي الْبَيِّنَاتِ وَسَادَةُ أَطْهَارِ
وَالْوَحْيِ وَالتَّأْوِيلِ وَالتَّحْلِيلِ وَالْجَزْمِ لَا خُلْفَ وَلَا إِنْكَارَ
وقال :

هَذَا تُرِيدُ مِنَ الْكِتَابِ نَوَاصِبُ وَلَهُ ظُهُورٌ دُونَهَا وَبُطُونٌ
فالشيعة يرون أن لكل ظاهر باطنا خفى عن الناس لأن عقولهم
لا تستطيع إدراك علم الباطن الذى هو سر الله المصون الذى يجب
أن يظل مكتوما عن لا يستحقه . قال .

إِذَا كَانَتْ الْأَلْبَابُ يَقْصُرُ شَأُوهَا فَظَلَمَ لِسِرِّ اللَّهِ إِنْ لَمْ يُكْتَمَ
والشيعة يعتقدون بالوصيِّ الذى وصاه النبي بالقيام بالأمر من بعده
وفى ذلك يقول ابن هاني .

تَوْمٌ وَصِيَّ الْأَوْصِيَاءِ وَدُونَهُ صُدُورُ الْقَنَا وَالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَاتِكِ
ووجود الإمام ضرورى فى نظر الشيعة من ثلاثة أوجه أولها أن

الله لما أرسل رسوله إلى الناس ليهديهم إلى صراطه المستقيم ، لزم أن يكون في كل زمان من يقوم بوظيفة النبي من هداية الخلق ونشر الأمن والعدل . وثانيها أن لغات الناس متفرقة فلا يفهم بعضهم لغة البعض ، فوجود الإمام ضروري ليفهم الناس شؤون دينهم كل بلسانه ولغته . وثالثها أن الله كما خلق الجبال وجعلها أوتادا تمسك الأرض أن تميد بمن عليها ، كذلك جعل الأئمة أوتادا للدين حتى لا يزول . وفي هذا ترى ابن هاني يقول .

إذا كان أمنٌ يشملُ الأرضَ كلها فلا بُدَّ فيها من دليلٍ مُقدِّمٍ
إذا كان تفريقُ اللُّغاتِ لِعِلَّةٍ فلا بُدَّ فيها من وسيطٍ مُترجمٍ
وآيةُ هذا أنَّ حَيَّ اللهُ أرضه ولكنها لم ترسُ من غير معلَمٍ
ويقول في قصيدة أخرى .

لولاك لم يكنِ التَّفَكُّرُ واعِظًا والعقلُ رشداً والقياسُ دليلاً
لو لم تكنْ سَكَنَ البلادِ تَضَعُضَعَتْ وتَزَايَلَتْ أركانُها تَزِيلاً
ومن مبادئ الشيعة أن الإمام لا يقوم إلا بالنص من قبله كما

لا يجوز قيام النبي إلا بإذن من الله . قال ابن هاني .
وما ذاك أَخْذاً بِالْفِرَاسَةِ وَحَدَّهَا وَلَا أَنَّهُ فِيهَا مِنَ الظَّنِّ مُضْطَرٌّ
ولكن موجوداً من الأثر الذي تَلَقَّاهُ عَنْ حَبْرٍ ضَنِينٍ بِهِ حَبْرٌ
ويرى الشيعة أن الإمام هو سبب وجود الدنيا بجميع ما فيها وهو علتها ولولاه لما كانت أرض ولا سماء ولا شمس ولا قمر . قال ابن هاني .
هو عِلَّةُ الدُّنْيَا وَمَنْ خَلَقَتْ لَهُ وَلِإِلَّةٍ مَا كَانَتْ الْأَشْيَاءُ

وقال :

هذا ضميرُ النَّشْأَةِ الأولى التي بدأ الإلهُ وغيبها المكنونُ
من أجلِ هذا قُدِّرَ المَقْدُورُ في أمِّ الكتابِ وَكُوِّنَ التَّكْوِينُ
والإمام عند الشيعة من أكمل مخلوقات العالم جسدا وروحا
وهو جامع لكل الفضائل والخيرات وجسده برىء من كل عيب وروحه
سالم من كل نقصان . قال ابن هاني .

فرغَ الإلهُ له بكلِّ فضيلةٍ أيامَ آياتِ الكتابِ تَفَصَّلُ
وقال :

وروح هُدى في جسم نورٍ يمدُّهُ شُعاعٌ من الأعلى الذي لم يُجَسِّم
والإمام عندهم متصف بكل صفة يتصف بها النبي من كونه أمين الله
وهادى الخلق ووارث الأرض وشفيع الناس . فالإمام متصف بكل
هذه الصفات . قال ابن هاني .

هذا أمينُ الله بين عباده وبلاده إن عُدَّتْ الأُمَماءُ
هو الوارث الأرض عن أبوين أبٍ مصطفى وأبٍ مُرْتَضَى
وقال :

لله من سببٍ بالله متصل وظلٌّ عدلٍ على الآفاق تَمْدُودُ
وقال :

هذا الشفيعُ لأُمَّةٍ يأتِي بها وَجُدُودُهُ لجدودها شُفَعَاءُ
وهو معصوم مثل النبي لا يصدر منه خطأ ولا تبدو منه زلة لأنه
ملهم من الله بأعظم درجات الإلهام ومؤيد منه بأكبر حدود التأيد

وهو مؤتمن على هداية الخلق بعد الرسول . قال صاحبنا .
من كان سِما القُدُس فوق جَبِينِهِ فَأَنَا الضَّمِينُ بَأَنَّهُ لَا يَجْهَلُ
وقال :

مُؤَيَّدٌ بِاخْتِيارِ اللَّهِ يَصْحَبُهُ وَلَيْسَ فِيما أَرَاهُ اللَّهُ مِنْ خَلَلٍ
ومعرفة الإمام عند الشيعة واجبة على الجميع لحديث يروونه عن
النبي وهو « من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية »
وكذلك ولايته واجبة عليهم . فلا نجاة لأحد من الناس إلا إذا عرف
الإمام وخضع لحكمه خضوعاً تاماً ومنحه ولاءه وإخلاصه . وقد أتى ابن
هانيء بهذا في شعره حيث يقول .

لِيَعْرِفَكَ مِنْ أَنْتَ مَنْجَاتُهُ إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهَ حَقَّ اتَّقَى

فَرَضانٍ مِنْ صَوْمٍ وَشُكْرِ خَلِيفَةٍ هَذَا بِهَذَا عِنْدَنَا مَقْرُونُ

لَوْ لَمْ تَكُنْ سَبَبَ النِّجَاةِ لِأَهْلِهَا لَمْ يُغْنِ إِيمَانُ الْعِبَادِ قَتِيلًا

لَئِنْ كَانَ لِي عَنْ وَدِّكُمْ مُتَأَخِّرٌ فَهَالِي فِي التَّوْحِيدِ مِنْ مُتَقَدِّمٍ

والإمام كما يرون مظهر نور الله الذي ينتقل من إمام إلى إمام فأنه
يتجلى بنوره في شخص الإمام . فإذا علمنا هذا استطعنا أن نفهم بسهولة
قول ابن هانيء

وما كُنْهُ هَذَا النُّورُ نُورُ جَبِينِهِ وَلَكِنَّ نَوْراً لِّلَّهِ فِيهِ مُشَارِكُ

وبدا تَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ عَفْوَاً وَفَاءَ لِيُونُسَ الْيَقْطِينُ

مِنْ شُعْلَةِ الْقَبَسِ الَّتِي عَرَصَتْ عَلَى مُوسَى وَقَدْ حَارَتْ بِهِ الظُّلُمَاءُ

وَلَقَدْ بَرَآكَ فَكُنْتَ مَوْتَقَهُ الَّذِي أَخَذَ الْكِتَابَ وَعَهْدَهُ الْمَسْئُولَا

فالشَّيْعَةُ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا وَالْأُمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَفْضَلُ جَمِيعِ الْبَشَرِ وَإِنْ
نُورُهُمْ خُلِقَ قَبْلَ أَنْ يُوْجَدَ الْعَالَمُ وَحَبِثَ إِنْ نُورِ اللَّهِ أَزَلَى يَنْتَقِلُ مِنْ إِمَامٍ
إِلَى إِمَامٍ حَتَّى اتَّصَلَ بِالْمَعْزِ ، فَنُورُ الْمَعْزِ هُوَ النُّورُ الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ هَؤُلَاءِ
الْأَنْبِيَاءُ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ بِهِ دَعَاءَهُمْ .

وهكذا سار ابن هانيء في شعره على هذه الوتيرة ، فلا عجب أن كان
لشعره طابع خاص ميزه عن غيره من شعراء الشيعة . فهو لم يرث الحسين
ولم يذكر علياً ولا مناقبه ، ولم يقصر شعره على هجاء الأمويين والعباسيين ،
ولم يتعرض للشيخين بطعن ولا سب ، إنما وقف شعره على نشر الدعوة
للخلافة الفاطمية وبت مبادئ العبيديين ، وقد كان هذا من الأمور
الطبيعية لأن هذه الدولة الجديدة الناشئة أضحت في حاجة إلى تثبيت
دعائمتها وتقوية مركزها ، بعد أن أصبح الأمر بيد خلفائها . وليس
أقوى من الشعراء في هذا المضمار ولا أقدر منهم . وقد وجد المعز
في ابن هانيء خير نصير ومعين على نشر الدعوة الفاطمية وقد قيل إنه
حزن حزناً شديداً لما سمع بوفاة .

مدحه للبغز

وقد مدح ابن هانيء الأندلسي المعز لدين الله الفاطمي بقصائد كثيرة أظهر فيها قوة ومثانة ، ووفق فيها إلى أقصى درجات التوفيق . ومثال ذلك قوله من قصيدة :

وطفقت أسأل عن أغرٍّ مَحَجَّلٍ	فإذا الأنامُ جِبَلَةٌ دَهْمَاءُ
حتى دُفَعْتُ إلى المعزِّ خَلِيفَةً	فعلبتُ أن المطلبَ الخلفاءُ
جودٌ كأنَّ أَلِيمَ فيه نَفَاثَةٌ	وكأَنَّمَا الدُّنْيَا عليه غُشَاءُ
مَلِكٌ إذا نَطَقَتْ عُلاهُ بِمَدْحِهِ	خِرْسَ الوَفودُ وأفهم الخطباءُ
هو عِلَّةُ الدُّنْيَا ومن خُلِقَتْ له	ولعلَّةٍ ما كانت الأشياءُ
من صفو ماء الوحي وهو مُجَاوِجَةٌ	من حوضه ينبوعٌ وهو شفاءُ
من أَيْكَةِ الفردوسِ حيث تَفَتَّقَتْ	ثمراتها وتَفَيَّأُ الأَفْيَاءُ
من شُعْلَةِ القَبسِ التي عُرِضَتْ على	موسى وقد حارتُ به الظلَماءُ
من معدِنِ التقديسِ وهو سُلَالَةٌ	من جواهرِ الملكوتِ وهو ضياءُ
من حيث يُقْتَبَسُ النُّهَارُ لمبصرٍ	وتُشَقُّ عن مكنونِها الأنبياءُ
فَيَقْظُوا من غَفْلَةٍ وَتَقْبَهُوا	ما بالصباحِ عن العيونِ خفاءُ
ليست سماءُ الله ما تراوَتْها	لكن أرضاً تحويه سماءُ
أما كواكبُها له تنفخوا ضِعْ	تُخْفِي السجودَ وَيُظْهِرُ الأيما
والشمسُ ترجعُ عن سَنَاهُ جفونها	فكأنها مطروقةٌ مرهأُ

هذا الشفيح لأمة يأتى بها
 هذا أمين الله بين عبادِهِ
 هذا الذى عطفت عليه مكة
 هذا الأغر الأزهري المتألق ألم
 فعليه من سماء النبي دلالة
 ورث المقيم يثرب فالمنبر الآ
 والخطبة الزهراء فيها الحكمة ال
 للناس إجماع على تفضيله
 ولكن الفصحاء والبعداء وال
 ضراب هأم الروم منتقياً وفي
 تجري أياديه التي أولاهم
 لولا انبعاث السيف وهو مُسلط
 كانت ملوك الأعجمين أعزة
 لن تُصغر العظماء في سلطانهم
 جهل البطارق أنه الملك الذي
 حتى رأى نجهالهم من عزمه
 فتقاصروا من بعد ما حكم الردى
 والسيل ليس يحيد عن مُستته
 لم يُشركوا في أنه خير الورى
 وجدوده لجدودها شفعاء
 وبلاذيه إن عدت الأمناء
 وسعابها والركن والبطحاء
 تدفق المتبلج الوضاء
 وعليه من نور الإله بهاء
 على له والشرعة العليا
 غراء فيها الحجة البيضاء
 حتى استوى اللوماء والكرماء
 قرباء والخصماء والشهداء
 أعناقهم من جوده أعباء
 فكانها بين الدماء دماء
 في قتلهم قتلهم الأبناء
 فأذلتها ذو العزة الآباء
 إلا إذا دلفت لها العظماء
 أوصى البنين بسلمه الآباء
 غيب الذي شهدت به العلماء
 ومضى الوعيد وشبت الهيجاء
 والسهم لا يدلي به غلواء
 ولذي البرية عندهم شركاء

وإذا أَقَرَّ المَشْرِكونَ بِفَضْلِهِ قَسْرًا فما أدراك ما الحَنَفَاءُ
 في اللهِ يسرى جُوده وجنوده وعدِيدُهُ والعزمُ والآراءُ
 أوْما تَرى دولَ الملوكِ تُطِيعُهُ فكأنَّها خولٌ له وإِماءُ
 نزلتْ ملائكةُ السماءِ بنصرِهِ وأطاعَهُ الإِصباحُ والإِساءُ
 والفلكُ والفلكُ المُدارُ وسَعْدُهُ والغزوُ في الدَّاماءِ والدَّاماءُ
 والدَّهْرُ والأَيَّامُ في تَصَرِّيفِها والناسُ والخُضراءُ والغبراءُ
 أين المفرُّ ولا مَفَرَّ لها ربِّ ولكَ البَسيطانِ التَّرى والماءُ
 ولكَ الجوارِى المُنشآتُ مَواخِرًا تجرى بأمرِكَ والرياحُ رُخاءُ
 والحامِلاتُ وكلُّها مَحْمُولَةٌ والناجياتُ وكلُّها عَمْدَرَةٌ
 والأَعْوَجِيَّاتُ الَّتِي إنْ سُويِبَتْ سَبَقَتْ وَجَرُّى المَذَكِيَّاتِ غِلَاءُ
 الطائِراتُ السابِحاتُ السَّابِقَا تُتِ النَّاجِيَّاتُ إِذَا اسْتُحِثَّ نَجَاءُ
 فَالبأسُ في حَمْسِ الوَغَى لِكُمَايَها والكِبرياءُ لهنَّ والخِيَلَاءُ
 لا يُصْذِرُونَ نَحورَها يومَ الوَغَى إلَّا كما صَبِغَ الخُدُودَ حَيَاءُ
 شَمُّ العَوَالِي والأُنُوفِ تَبَسَّمُوا تحتَ القُنُوسِ فَأَظْلَمُوا وَأَضَاءُوا
 لِسِوا الحَديدِ على الحَديدِ مَظَاهِرًا حَتَّى اليَلامُقُ والدُّرُوعُ سَواءُ
 وَتَقَنَّنُوا الفُولاذَ حَتَّى المِلقَةُ النِجْ لاءُ فِيها المِلقَةُ الخُوصاءُ
 فَكأنَّما فَوْقَ الأَكُفِّ بَوارِقُ وكأنَّما فَوْقَ المُتُونِ إِضاءُ
 مِنْ كُلِّ مَسْرُودِ الدَّخارِصِ فَوْقَهُ حُبُكُ وَمِصْقُولِ عَلَيْهِ هَباءُ
 وَتَعانَقُوا حَتَّى رَدَّ يَلِيَّاتِهِمْ عَطَشَى وَيَبِضُّهُمْ الرِّقاقُ رِواءُ

أَعَزَّتْ دِينَ اللَّهِ يَا ابْنَ نَبِيِّهِ
فَأَقْلُ حَظِّ الْعُرْبِ مِنْكَ سَعَادَةٌ
فَإِذَا بَعَثَ الْجَيْشَ فَهُوَ مِنْهُ
يَكْسُو نَدَاكَ الرُّوضَ قَبْلَ أَوَانِهِ
وَصِفَاتِ ذَاتِكَ مِنْكَ يَأْخُذُهَا الْوَرَى
قَدْ جَالَتْ الْأَوْهَامُ فِيكَ فَدَقَّتْ
فَعَنَتْ لَكَ الْأَبْصَارُ وَانْقَادَتْ لَكَ
وَتَجَمَّعَتْ فِيكَ الْقُلُوبُ عَلَى الرِّضَى
أَنْتَ الَّذِي فَصَلَ الْخُطَابَ وَإِنَّمَا
وَأَخْصُ مَنْزِلَةً مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي
أَخَذُوا الْكَلَامَ كَثِيرُهُ وَقَلِيلُهُ
دَانُوا بِأَنْ مَدِيحَهُمْ لَكَ طَاعَةٌ
فَاسْلَمْ إِذَا رَأَى الْبَرِيَّةَ حَادِثٌ
فِيهِ تَنْزَلَ كُلُّ وَحْيٍ مُنْزَلٍ
فَتَطُولُ فِيهِ أَكْفُ آلِ مُحَمَّدٍ
مَازَلْتَ تَقْضِي فَرَضَهُ وَأَمَامَهُ
حَسْبِي بِمَدْحِكَ فِيهِ ذُخْرٌ لِلْوَرَى
هِيَهَاتَ مِنَّا شُكْرٌ مَا تَوَلَّى وَلَوْ
وَاللَّهُ فِي عَلَيَّاكَ أَصْدَقُ قَائِلٍ
لَا تَسْأَلُنَّ عَنِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ

فَالْيَوْمَ فِيهِ تَحْمُطُ وَإِبَاءُ
وَأَقْلُ حَظِّ الرُّومِ مِنْكَ شَقَاءُ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّأْيَ فَهُوَ قَضَاءُ
وَتَحْيِدُ عَنْكَ اللَّزْبَةُ اللَّالِوَاءُ
فِي الْمَكْرَمَاتِ فَكُلُّهَا أَسْمَاءُ
أَفْكَارُ عَنْكَ بَجَلَتْ الْآلَاءُ
أَقْدَارُ وَاسْتَحْيَتْ لَكَ الْإِنْوَاءُ
وَتَشَيَّعَتْ فِي حُبِّكَ الْآهْوَاءُ
بِكَ حُكِّمَتْ فِي مَدْحِكَ الشُّعْرَاءُ
أَمْثَالُهَا الْمَضْرُوبَةُ الْحُكَمَاءُ
قَسَمِينَ ذَا دَائِهِ وَذَلِكَ دَوَاءُ
فَرَضَ فَلَيْسَ لَهُمْ عَلَيْكَ جَزَاءُ
وَإِذَا عَمَّ النَّفُوسَ فَنَاءُ
فَلَا أَهْلَ بَيْتِ الْوَحْيِ فِيهِ ثَنَاءُ
وُتَغَلُّ فِيهِ عَنِ النَّدَى الطَّلَقَاءُ
وَوَرَاءَهُ لَكَ نَائِلٌ وَجِبَاءُ
لِلنُّسْكِ عِنْدَ النَّاسِكِينَ كِفَاءُ
شُكْرُكَ قَبْلَ الْأَلْسَنِ الْأَعْضَاءُ
فَكَأَنَّ كُلَّ قَوْلِ الْقَائِلِينَ هَذَا
فِي رَاحَتِكَ يَدُورُ كَيْفَ تَشَاءُ

ومدأح ابن هانيء كلها على هذا النحو . وقد كرر كثيرا من المعاني
في قصائد مختلفة وردد ما أتى به هنا من الآراء والمبادئ في غير
هذه القصيدة .

وفاته : توفي ابن هانيء في عام ٣٦٢ هـ وعمره ست وثلاثون سنة .
وجد مقتولا وقد اختلف في سبب قتله .

(انتهى)

فهرس

صفحة	
هـ	مقدمة الطبعة الثانية
و	مقدمة الطبعة الأولى
	الباب الأول
١	الفصل الأول : مشكلة الخلافة
١٦	الفصل الثاني : فرق الشيعة
	الباب الثاني
٢٣	مقدمة - التشيع والأدب
	الفصل الأول :
٢٥	(١) الخطابة
٢٨	(٢) الرسائل
٣٥	(٣) الحديث
٤٠	(٤) القصص
٤٤	(٥) انتحال القول
	الفصل الثاني :
٥٠	خطباء الشيعة - الأمام على
٥١	نهج البلاغة
٦٨	خطباء آخرون
	الباب الثالث
	الفصل الأول : في الشعر
٦٩	(١) شعر أبي طالب
٧١	(٢) شعر على
٧٦	(٣) على السنة أعدائهم
٧٩	(٤) كفر ومجون

صفحة	
٨٤	الفصل الثاني : الشعر عند الشيعة
٨٥	(١) المدح
٩٠	(٢) الرثاء
٩٢	(٣) الهجاء
٩٤	(٤) الدفاع عن حق علي
٩٩	(٥) ذكر مناقب آل البيت
١٠١	(٦) النقائض
	الباب الرابع :
١٠٤	شعراء الشيعة
١٠٤	(١) الكميت
١١٠	(٢) كثير
١١٦	(٣) العبلي
١١٩	(٤) السيد الحميري
١٢٦	(٥) دعبل الخزاعي
١٣١	(٦) ابن الرومي
١٣٥	(٧) المفجع البصري
١٣٨	(٨) الشريف الرضي
١٤٩	(٩) مهيار الديلمي
١٥٤	(١٠) ابن هانئ الأتدلسي
١٦٠	مدحه للمعز

رقم الإيداع ٩٤ / ١٠٦١١
التزقيم الدولي 977 - 5383 - 10 - 2

دار العرب
للطباعة

To: www.al-mostafa.com